٢٣٢٧
/
٢٢٠٢٩ جرته

شعارنا الوحيد : إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

تصدر : فى ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المجلد السابع عشر — رجب ١٣٩٢هـ
العدد الأول — سبتمبر ١٩٧٢م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

الاشتراكات

في الهند و باكستان : عشر روبيات - ثمن النسخة روبية واحدة
في العالم العربي : جنيه و ربع (استرليني) (بالبريد العادي)
" " ثلاثة جنيهات إلا ربع (استرليني) (بالبريد الجوي)
في افريقيا الجنوبية والشمالية : جنيه وربع (استرليني) (بالبريد العادي)
" " ثلاثة جنيهات ونصف " (بالبريد الجوي)

المراسلات

العنوان البعث الاسلامي ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
الهاتف : ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨
برقية NADWA, Lucknow
الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم كراچي رقم ١٤ باكستان

الوكالات

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- المكتب الإسلامي ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- إقبال الندوي الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري الرياض المملكة العربية السعودية
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)
- مكتبة النهضة - بريدة - القصيم - المملكة العربية السعودية
- يعقوب اسماعيل منشي المحترم

Yakub Ismail Munshi
1- Savile, Saviletown, Dewsbury, (Yorks) U. K

- مكتبة المنار ميدان التحرير - صنعاء - اليمن
- المكتبة الحديثة - دبي (الخليج العربي)

البعث الإسلامي | الفكر الإسلامي | السبيل

العدد الأول
المجلد السابع عشر

رئيس التحرير : محمد الحسني
مدير التحرير : سعيد الأعظمي

رجب ١٣٩٢
سبتمبر ١٩٧٢

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير وبين العلم النامى الذى لا يتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، و بين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه و دراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر و حارس للأمانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم ومسلح على أحدث طراز ، وبينما هو فى الأول لايعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود .

بناية دار العلوم لندوة العلماء الرابضة على شاطئ نهر گومتى فى لكهنؤ (الهند)

الفهرس

مفتاح النصر ! — محمد الحسنى — ٣

التوجيه الإسلامي

كيف يساهم الاسلام فى بناء مجتمع هندى أفضل — فضيلة الأستاذ أبوالحسن على الحسنى الندوى — ١٠
خصائص النظام الاسلامى ومميزاته — الدكتور خورشيد أحمد — ١٧
الشيخ شرف الدين منيرى — الأستاذ أبو بكر الحسنى — ٢٤

الدعوة الإسلامية

معركتنا داخل أنفسنا ! — الأستاذ عصام العطار — ٣٠
التخلف عن الجهاد فى سبيل الله — الاستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله — ٤٦
من سياسة النبوة ! — الدكتور سعيد رمضان — ٥٩
لنقم دولة الاسلام فى نفوسنا أولا — الشيخ العالم الربانى محمد يعقوب المجددى — ٦٤

الفقه الاسلامى

الشريعة الاسلامية لاتسمح بالقوانين الوضعية — فضيلة الشيخ محمد منة الله الرحمانى — ٧٠

اقتصادنا في ضوء الاسلام

المشكلات الاقتصادية فى العالم الاسلامى — الأستاذ انعام الله خان — ٧٦
مبادئ النظام المالى فى الاسلام — فضيلة الشيخ محمد ميان — ٨٢

في رياض الشعر والأدب

النزعة الجديدة فى الشعر العربى — الأستاذ محمد الرابع الندوى — ٩٠
بين وسامين (شعر) — الاستا محمد المجذوب — ٠٣

ربانيون

القاضى أبو سعد التميمى الموصلى — سعيد الأعظمى الندوى — ٩٥
أخبار اجتماعية وثقافية — قلم التحرير — ٩٩

٢٣٢٧
/١
م٢٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مفتاح النصر !

ظهير الدين محمد بابر هو مؤسس الدولة المغولية فى الهند ، و كان مثلا رائعاً فى الشجاعة والشهامة والذكاء، واجهته خلال فتوحه ومغامراته معركة عنيفة بحاكم هندكى مشهور « رانا سانجا » و لكن تغلب عليه أخيراً ، لا بمؤامرة و كيد و لا بحيلة و خدعة ، أو فن من فنون الحرب ، إنما تغلب عليه بشئ آخر ، سجلته كريمته الأديبة الكاتبة « كلبدن بيگم » فى كتابها الشهير « همايون نامه » باللغة الفارسية وإليك هذه القطعة التاريخية من الكتاب :

« تاب الملك من الخمر قبل يومين عن المعركة ، بل تاب من سائر المنهيات ، و تاب معه أربع مأة من الرجال البواسل الذين عرفوا بشكيمتهم و رباطة جأشهم و وحدة كلمتهم ، ثم حطم الملك أوانى الخمر و أوانى الذهب و الفضة كلها ، و تصدق بها على ذوى الحاجة والفقراء و المساكين » فماذا كانت النتيجة ؟... الانتصار تلو الانتصار ، و الفتح إثر الفتح .

إن « بابر » يبعد عن عهد الرسالة بتسعة قرون ، و هذه المعركة وقعت فى جمادى الثانية ٩٣٤هـ الموافق مارس ١٥٢٧م ، و لم يكن تقياً

ديناً بمعنى الكلمة ، بل عرف فى تحرره و انطلاقه و عزى إليه أشعار تدل على ذلك .

فهل سمع إخواننا الباكستانيون هذه القصة ، وهل دار بخلدهم حينا أن يعتبروا و يرجعوا إلى الدين ، ألم يكن إصلاح نفوسهم أولى و أهم و أكبر و أعظم ، ألم يكن أحرى بهم وأولى لهم أن يتوجهوا إلى ربهم الرحيم بدلا من روسيا و أمريكا و الصين (١) .

لقد وجه الأستاذ قوله إلى أهل باكستان ، و نحن بدورنا نوجهه إلى البلاد الاسلامية ، فهو يعم الجميع ، و يشمل العرب والعجم ويجدر بدراسة المدنيين و العسكريين ، و زعماء المسلمين سواء بسواء .

إننا نوجه هـذا الحادث التاريخى العظيم إلى كل قائد و ضابط ، وحارس ومرابط .

إلى القيادات العسكرية فى دول المواجهة ، و الضباط الرابضين على الجبهات الأمامية .

إلى كل حاكم و رئيس ، و سمو و أمير ، و ملك و وزير .

إلى كل من عرف مسئوليته نحو البلاد ، وكل فتاة عرفت دورها فى أسرتها و وطنها .

هنالك مفتاح الانتصار ، و هنالك النصر المؤزر و الفتح المبين ، هنالك الجـد الذى لا يعثر ، و الحظ الذى لا يخون ، و الأمل الذى لا يخيب الظنون .

---

(١) من كلمة للكاتب الكبير الأستاذ عبد الماجد الدريابادى فى جريدته الأسبوعية الشهيرة « صدق » الصادرة من لكهنؤ .

ذلك ما عبر عنه القرآن بكلمة موجزة واحدة بليغة خالدة .

« أتاهم نصرنا »

هذا النصر الذى لا يغلب ، و لا تستطيع الدول الكبرى أن تقف فى وجهه بوسائلها الجهنمية ، ولوكانت بعضها لبعض ظهيراً ، مربوط معقود موثوق بهذا المفتاح الذى عرفه ملك الهند بابر ، فانفتحت له سائر الأقفال المعقـدة و الأبواب المغلقة المؤصدة ، إنه ربط نفسه بأمر الله الغالب ، فغلب .

فجربوا .... و لو مرة واحدة ، هذا المفتاح الذى استعمله بابر يوماً واحداً فأتته الدنيا و هى راغمـة ، و أسس دولة واسعة دامت وازدهرت قروناً طويلة ، فرب إرادة قائد من قوادكم وهمة بطل من أبطالكم قـد تغير مجرى التاريخ لعدة قرون ، ورب غيرة زعيم واحد منكم تحقق ما عجز عنه الزعماء أجمعون .

إن العـالم الاسلامى لا يحتاج اليوم إلى شئ بمثل ما يحتاج إلى استيفاء شرط النصر ، و هو التنحى عن المعصية ، و التـوبة النصوح ، و لذلك لم يكن الصحابة رضى الله عنهم يخافون على عسكرهم من شئ بمثل ما كانوا يخافون عليه من معصية .

وكلما دهمهم خطب أو حزبهم أمر فتشوا عنها فى الجيش الاسلامى، فاذا لم يجدوها ، اطمئنوا وسكنوا و علموا أن الفتح صائر لا محالة .

و قد جرب هذه العملية « بابر » بعد ما مضى على عهد رسول الله ﷺ تسعة قرون ، فنجح نجاحاً قل نظيره فى تاريخ الحروب ، فهل نجرب نفس العملية بعد أربعة قرون من وقعة «بابر» لنفوز بما فاز به من دولة

عظيمة واسعة ، و كلمة باقية فى الدنيا و الآخرة ، أوهل نقتنع بوجودنا على ذيل الدول الكبرى ، لا حول لنا و لا طول ، نتقدم إذا سمحت لنا بالتقدم و نتأخر إذا أرادت لنا التأخر و ننسحب إذا أرادت لنا الانسحاب ، ونعيش بين السلم والحرب إذا أرادت اللاسلم واللاحرب .

والسر فى كل ذلك أننا لانستطيع أن نصبر على مكروه ، لانستطيع أن نقطع عن نفوسنا ماتفيض به أسواقنا العامرة من أدوات ترفيه وترويح ، و تجميل و تأثيث ، تلك الكماليات التى تمص ثروتنا كالاسفنج و تصبها فى مستودعات أوربا و أمريكا ، و لا تقف عند هذا الحد ، و لو كان ذلك لهان الخطب بل إنها مع ذلك تشل أيدينا العاملة ، و تجمد قرائحنا الفياضة ، و عقولنا المنطلقة و تجعل أمتنا كالقوارير لا تحتمل أى صدمة و لا تقدر على مقاومة ، و تنسى أن وراء المطعم الفاخر ، و القصر الشامخ ، و الزى الأنيق و الهندام الرشيق ، غايات أرفع و أسمى ، وملذات أشهى و أحلى ، هى لذة الروح ، هى لذة التضحية و الجهاد فى سبيل الله ، لذة الامتناع عن المحرمات لوجه الله ، لذة الدعوة و التفانى فيها ، لذة الرباط على الثغر ، لذة الامساك و الصبر عند المقدرة ، لذة القلق و السهر على الانسانية ، لذة الخلود و الحياة الباقية فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، و رضوان من الله أكبر .

إن النصر المنتظر مربوط بتلك الغايات النبيلة و المطامح السامية التى تستولى على مشاعر هذه الأمة وتحتل جوانب العقل والقلب ، والعاطفة و الضمير ، و الجسم و الروح ، غايات لم تتشرف بها أمة غير أمة محمد ﷺ ، ولم يسعد بها شعب غير شعب الاسلام .

فالشرط الأول أن يمتنع جيشنا الباسل الذى يقف على خط النار، و أن يمتنع زعماؤنا ، و قوادنا ، و ضباطنا بوجه خاص عن المعاصى و المحرمات ، و يتوبوا منها كما تاب ظهير الدين بابر .

أن نركز تفكيرنا و جهودنا على تطهير الجيش من كل ما ينافى شروط الفتح ، و أسباب الانتصار ، سواء كانت معصية سافرة فى مجال الأخلاق والحياة العملية ، أوشبهة وإلحاداً وضلالا فى مجال العقيدة والتفكير .

إن الجندى — أيا كان — لا يستطيع أن يحارب من غير عقيدة راسخة عميقة يؤمن بها كل الايمان و يتحمس لها كل التحمس ، و ذلك ما اعترف به كبار القواد العسكريين فى العالم (١) .

و لكنه نصف الطريق ! أو إذا شئت فقل نصف الحديث .

فالجندى العام فى كوريا أو فيتنام يستطيع أن يحارب بأى عقيدة شاء ، أما جندى الاسلام فهو ليس حراً فى اختيار العقيدة ، وإذا انتحل عقيدة ، و ركن إلى مذهب أو مبدأ ، أو أعجب بالكفر و أساليبه و بالاستهتار و فنونه ، لم تسعفه هذه العقيدة ، و لم يغثه هذا المذهب ، ولم ينفعه ذلك المبدأ ، واندحر هو بهذه العقيدة بينما انتصر به الآخرون .

وذلك لأن الله لم يرض لهذه الأمة الأخيرة (التى تقع عليها مسئولية الانسانية كلها إلى يوم القيامة) أن تنحرف عن جادتها وخطها ، وتخون أهدافها السامية الغالية التى خلقت لأجلها ، رحمة بها ، و إشفاقاً عليها .

فليجب أن نقف حيث أمرنا الله و نعتز بهذا المقام الرفيع الذى خصنا به دون غيرنا ، و رفع به شأننا فى العالمين « كنتم خير أمة

(١) اقرأ تفاصيل هذا الاعتراف فى مؤلفات اللواء الركن شيت محمد خطاب .

أخرجت للناس »

و بعد فلا نريد أن يتحول جنودنا إلى نساك و عباد و زهاد ، بل نريدهم « رهباناً بالليل ، فرساناً بالنهار » و نريد منهم — على أقل تقدير — أن يمتنعوا عن المحرمات السافرة المكشوفة التى تجلب سخط الله ونقمته ، و نريد منهم - تنازلا - أن تكون كثرتهم محافظة على الحدود غير باغية أو طاغية أو مستهترة ماجنة ، و أن تكون قيادتنا بصورة خاصة ، وقافة عند حدود الله ، لاتلج فى الحرام ولا تركب المعصية ، و لا تزدرى بالدين و شعائره ، و لا تستهين بالايمان وقوته ، محافظة على مروءته و فتوته ، و أخلاقه و سيرته .

و لتكن على ثقة أن توبة نخبة من القواد عما ينافى دينهم و خلقهم و شرفهم ، و أن رجوع عامة جنودهم إلى حياة نزاهة و شرف وعقيدة و ضمير ، و عاطفة و إيمان و التمييز بين الحلال و الحـرام ، و الكفر و الاسلام يستطيع أن يحقق فى أيام قلائل ما لم يتحقق منذ زمن بعيد ، و قد يحول تيار الحياة فى الشرق الاسلامى ، و قد يغير مجرى التاريخ ! وما ذلك على الله بعزيز .

محمد الحسنى

التوجيه الإسلامي

كيف يساهم الاسلام فى بناء مجتمع هندى أفضل ؟

فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

[ملخص الكلمة التى ألقاها سماحة الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى باللغة الأردية فى ١٥ ربيع الأول ١٣٩٢ هـ الموافق ٣٠ ابريل ١٩٧٢م فى اجتماع حافل فى بومبائى حضره لفيف من العلمـــاء ، والأدباء ، و رجال الفكر ، و خبراء التربية و الزعماء السياسيين المسلمين و لجنة طيبة من عامة المواطنين]

إن دور المجتمعات فى تاريخ الشعوب و الأمم غير دور الفلسفات والآداب ، والثقافات واللغات ، و الحدود الجغرافية و المساحة الأرضية ، فان وجود مجتمع فاضل عادل فى أى بلد ، مجتمع يجدر بالبقاء والاستمرار ، و يملك الضمير الحى السليم ، و يميز الخبيث من الطيب ، والظلم من العدل ، و يتألم قلبه على الاثم و العدوان ، منحة غالية و نعمة سابغة من الله سبحانه على عباده ، إن القضاء على الظلم برمته مستحيل ، وإن ذلك لم يقع إلا فى عهد الأنبياء والمرسلين و أتباعهم المخلصين الصادقين ، إن مثل هذا المجتمع المثالى لم يتكون فى التاريخ إلا فى فترات خاصة و أدوار معلومة ، ولكن المطلوب من هذا المجتمع على كل حال أن يتألم على الظلم ، و يونبه ضميره الحى على غمط الحق ، وإهدار الشرف ، ولا ينساق مع التيار ، ولا يسيل

مع الاغراءات المادية و شهوات النفس العارمـــة بل يحافظ على شخصيته و وجوده ، إن الوقوف فى وجه الظـالم و إمساكه عن تنفيذ إرادته شئ كبير ، ولكن الجهر بالحق والصراحة والصدق واعتبار الظالم ظالماً والخائن خائناً شئ لا يستهان به ، و لذلك فان المجتمع الذى لم يضرب ضميره عن العمل ، و صمد أمام الهجمات المتتابعة ، والضربات الشديدة المتوالية ، ولا يزال يودى دوره ووظيفته بامانة و جدارة و قوة ، حاجة البلاد كلها من غير نزاع ، ومهما هبت العواصف الهوجاء ، وحدثت القلاقل والاضطرابات و الزلازل و الأهوال ، و طالت الفوضى الخلقية و السياسية و دامت فان وجود مجتمع صالح سليم ضمان لحفاظه عن هذه الزعازع و الأعاصير ، إن مثل هذا المجتمع هو بارقة أمل للانسانية لأنه لم يتعاون على الاثم والعدوان و لم يقل « نعم » للظالم أيا كان ، إننى لا أريد أن يكون هذا المجتمع مثلا مجرداً أو معنى أدبياً كريماً فحسب ، و يتطهر من كل سوء ، و يترفع عن كل شر ، و إنما أريد أن يستهوى الأقدار الخلقية والانسانية قلبه و ضميره على أقل تقدير ، و يكون عنده شعور بقدرة الله العليم البصير ، و تكون عقيدة التوحيد راسخة فى أذهانه ، متغلغلة فى أحشائه ، و بذلك يستطيع هذا المجتمع أن يقاوم أى مؤامرة ضد الأخلاق و الانسانية ، و أى انحراف سياسى من الحكومة ، وحيف من الحكام .

و إذا تجرد بلد من البلاد من مثل هـــذا المجتمع الطيب الصالح ، النظيف ، فلا يمكن له أن يعوض هـذا الفراغ بأقوى حكومـة . و أرقى جامعة ، ولا بأروع مظاهر دينية وصلاح شخصى ، وليس هناك شئ يملأ فراغه و يسد ثغرته ، بخلاف المجتمع الصالح فانه يملأ كل فراغ ، ويجبر

كل كسر ، و يسد كل غور ، و يتدارك كل ما فات ، و يبنى حكماً سليماً و تنسيقاً حكيماً ، و يقوم عند كل حاجة ، و يؤدى واجبه ، ويسعف بلده وأهله إذا استبد بالبلاد قادة مفسدون وتملكوا زمامها حتى يرد الحق إلى أهله و الماء إلى مجاريه .

ولذلك فان المؤرخ العاقل الذكى لا يعير أشكال الحكم أهمية كبيرة ، فقد شهد تاريخ اليونان و رومة و بلادنا الهند أن تغييرات الحكم الطفيفة و أشكاله الظاهرة لم تدم طويلا ، و ألقاها القدر أخيراً فى ملفات التاريخ أو مخلفاته ، و خلى هذا المنصب لقائد أفضل و أعدل و أرحم و أكرم ، فالعاقل من يبحث عن هذا المجتمع المطلوب ، فاذا وجده اطمأن إليه ، وعلم أن فساد الحكم زائل لا محالة كالرجل القوى السليم الذى يصاب بالسهر و الحمى لحين من الدهر ثم يبرأ منه ، فان الطبيب يعلم يقيناً أنه سيبرأ من مرضه لأن جسمه يملك قوة الدفاع و إن هذه القوة ستصارع المرض فى نهاية الشوط ، و إنما الخطر إذا فسد هذا المجتمع ، وحرم التمييز بين الظالم و المظلوم والخير و الشر ، و آمن بشريعة الغاب ، وسجد لكل من تحكم فى رقابه ، و أملى عليه إرادته ، و عبد كل شمس طالعة و قمر منير ، و نجم متلالئ .

إن رومة لم تلق مصيرها بالانلاس فى المدنية والحضارة ، فقد كانت عند سقوطها زاخرة بالمراكز العلمية والمدارس الأدبية ، عامرة بمظاهر الجمال والحياة ، وكل من تأمل فى التاريخ بفكر ثاقب مستنير اطلع على أن الأمم التى لاقت حتفها كانت حية حضارياً و ثقافياً حتى فى حين احتضارها ، فقد كانت إيران حين فتحها المسلمون فى أوج رقيها و ذروة حضارتها ، و قد

رقت حواشيها ، و حسنت ديباجتها ، و لكن هذه الحضارة الرقيقة الناعمة لم تمسك الدولة الساسانية من سقوطها و زوالها ، وقد يأخذنا العجب حينما نرى أن الشام ، ومصر ، و إيران و رومة لاقت مصيراً متشابهاً مع رقيها الحضارى و نهضتها المادية ، و السر فى ذلك أن مجتمعات هذه البلاد كانت فريسة الفوضى الخلقية العامة وانقلبت فيها الموازين ، حتى أصبح النهار ليلا و الليل نهاراً ، و الظلم عدلا ، و العدل ظلماً ، و تولدت فيها جماعة كبيرة من المترفين والطماعين يضمون صوتهم إلى صوت سيدهم ويضعون جباههم على أقدامهم ، فاذا قال واحد منهم فى ضوء النهار ، ما أروع هذا الليل ، قالوا و ما أجمل منظر الكواكب و ضوء القمر ، وقدعم اليوم هذا الاتجاه المشؤم فى الهند مع كل الأسف ، و قد كان المهم الأهم بعد تحرير البلاد أن يركز كل القوى والمواهب والطاقات فى البحث عن هذا المجتمع الصالح المنشود و الحصول عليه بأى ثمن ، و لو احتاجوا فى ذلك إلى الانتفاع بخبرات غيرهم والتكفف أمامهم ، المجتمع الذى لا يساوم الظلم ، ولا يتفاهم مع البغى ؛ يخاف الله سبحانه فى سائر أحواله ، و لا يبالى فى الحق بلومة لائم ، إن هذه القضية قضية موت و حياة بالنسبة إلى هذه البلاد فعلى القادة و الزعماء أن يكرسوا جهودهم لبناء مجتمع لا يرفع فيه الظلم هامته أو رايته ، وإذا فعل ، استأصلوا شأفته ، و قلعوا جذوره ، و إن صحت نيات العاملين ؛ وبناة الوطن ، و تجردوا عن العصبيات و ضيق التفكير لوجدوا الاسلام خير من يعينهم على مشكلاتهم و أزماتهم ، و يدلهم على هذا المجتمع المنشود ، إن تعاليم الاسلام التى يعتنقها ملايين الملايين من أبناء هذا الوطن تجدر بالانتفاع و الاستفادة و الاقتباس و لو أنهم فعلوا ذلك

لأدى الاسلام دوره الكبير فى بناء الانسانية بوجه عام و بناء هذه البلاد بوجه خاص ، وزاد فى ثروة البلاد ، و شرفها ، و حسن سمعتها .

ولننظر الآن ما هى الأدواء التى تنخر هيكل البلاد وكيانها و تجعلها منخورة جوفاء ، مشلولة ، و تحبط جهود البناء و التعمير فان غض النظر عن الأخطار الحقيقية المحدقة بالبلاد خيانة كبيرة .

الخطر الأول والأهم هو ضعف الشعور بقيمة الانسان و شرفه وكرامته ، وهو أكبر خطر لأى مجتمع فى أى بلد ، و إنه يؤذن بخراب المدنية والحضارة و نهاية مستقبل الانسانية .

إن قتل الأشقياء و سفك دماء الأبرياء ، داء عضال لا تخفى عنه كثافة السكان ، و وجود المعادن الطبعية ، ولا مشروعات الزراعة والرى ، ولا التعليم العالى ، وكثرة الوارد و الصادر .

و إن ذلك موضع استغراب ودهشة أن هذا البلد الذى أثار ثورة الحب فى زمن مضى و تغنى برسالة الحب فى لغاتها المحلية وذاق لذة الأخلاق الفاضلة و الانسانية الرحيمة عن طريق الصوفية و العلماء الربانيين ، والذى اعتنق أخيراً مبدأ « اللاعنف » و تغنى به فى سائر أنحاء العالم ، وامتاز فى الحب والعاطفة و رقة الشعور ، هذا البلد ، لم يعرف حتى الآن - مع كل الأسف - شرف الانسان ، و حرمة الدم الانسانى حق معرفته و لم يقدره حق قدره .

إنه لابد لنا أن نعرف قضايا اللغة والثقافة ، والخط ، قضايا الانسان ، وهى خاضعة له ، تابعة لارادته ، وإن كل ما فيها من جذابية ومعنوية هى نسبية تتعلق بالانسان ، و ما قيمة لغة و ثقافة و ما قيمة أنهار و جبال ،

و آداب و فنون ، إذا فقدنا الانسان أو فقدنا إنسانيته .

إننا نريق دم مئات و آلاف من الناس لمجرد قطع شجرة أو ذبح حيوان أو لاحياء حضارة عتيقة بعض الحين و يقع ما تقشعر منه الجلود و يتندى له جبين الحياء ، و تثور موجة عارمة فتكتسح كل ما تمر عليه من أنفس و أموال ، و ثمرات ، بل تدمر ذلك الانسان الذى هو زينة الوجود والذى خضعت له الطبيعة بجميع مظاهرها ، و حسنها و جمالها ، وقامت له سوق الشعر والأدب أو الثقافة والمدنية بجميع صورها وأشكالها هذا الانسان يذهب ضحية الظلم و الهمجية و الاضطهاد ، إننا نقتل ذلك الانسان الذى هو أروع صنعة إلهية و أجلها فى الكون بالاطلاق ، والذى نعيش معه طول حياتنا لمجرد أسباب بسيطة تافهة ، إن هذا الوضع وضع خطر سياسى يزرى بالبلاد

إن فى هذه البلاد علماء و خبراء ، و عدد الجامعات فيها كبير قد يفوق على غيرها من البلاد ، ولكن تعثرها مع كل ذلك « نوبات عقلية » بين حين و حين تهبط فيها قيمة الانسان ، و السبب الرئيسى و الأساسى أن الشعور بحرمة الانسان فى هذه البلاد لم يكتمل و لم ينضج بعد ، وإنها لم تعرف حتى الآن أن الطبيعة خاضعة للانسان و هو غير خاضع لها .

لقد أجاد أحد الفلاسفة حين قال (كل مولود يولد فى هذه الدنيا يعلن أن الله غير يائس من النوع البشرى ولكن نحن البشر نعلن بتصرفاتنا و أعمالنا أن النوع البشرى غير صالح للبقاء ، إن ولادة الانسان تعلن بلسان حالها أنه لابد له أن يبقى و يعيش و يزدهر فاذا نال هو ثقة الله فلماذا لا نثق به نحن) .

إن البلاد اليوم فى حاجة إلى مئات الآلاف من الكتاب ، والشعراء والأدباء و الخطباء ، و رجال الفكر و الاصلاح ينبذون سائر مشكلاتهم وراء ظهورهم ليتجولوا فى المدن ، و القرى ، و الارياف ، و يطرقوا كل باب ، و يقولوا مهما كانت المادة الأولى فى الدستور الهندى ، فان المادة الأولى لدستور الحيـاة أن الانسان يستحق أن يعيش ، فلماذا نقف متفرجين صامتين و نحن نرى هذا العار شوه وجه البلاد الجميل ، و سود صفحة المجتمع الناصعة .

(يتبع)

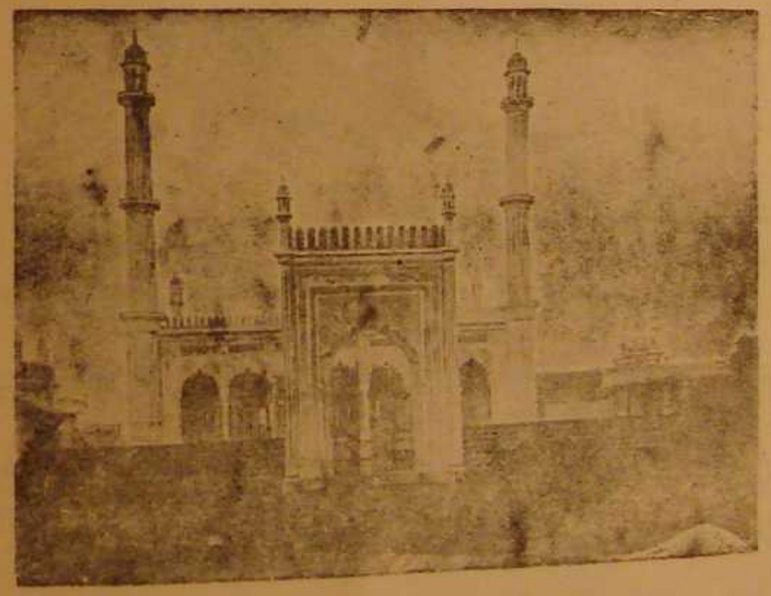

خصائص النظام الاسلامى و مميزاته

الدكتور خورشيد احمد
« معرب »

من مميزات النظام الاسلامى أنه يشمل كل جزء من أجزاء الحياة الانسانية ، بالرغم من النظم والنظريات الأخرى التى لا تحيط بالحياة كلياً، ولا تتميز بالوحدة والتساوى ، و ذلك لأنها تقتطف أجزاءها المختلفة من مآخذ مختلفة متناقضة و مصادر متنوعـــة متعارضة ، فمثلا الحضارة الغربية اقتسبت فلسفتها من اليونان ، و أدبها من الشرائع الوثنية ، وقانونها من رومة ، و علومها الطبعية من المسلمين ، و دوافعها الاقتصادية من اليهود ، و ديانتها من المسيحيـــة ، و كذلك الاشتراكية إنما تكونت من مصادر متناقصة مختلفة ، أما الاسلام فانه يتميز عن الجميع ، إن مصدره واحد وهو الهداية الربانية الملهمة ، و هذه الهداية لها صلة وثيقة بجميع مناحى وأجزاء الحياة ، وهى تعتبرها وحدة متسقة لا تقبل التقسيم و التجزئة ، إنها تربط نواحى الحياة كلها برباط واحدة و تنفح فيها روحاً و نشاطاً ، ولذلك فان هذا النظام يتسم بالشمول و الكمال ، و يتفرد بالسعة والوحدة .

إن هذا النظـام يتلاءم مع حقائق الكون الأساسية ، إنه لا يثور على الفطرة بل يتفق معهـــا ، و إن من أهم حقائق هذا الكون إنما هى حقيقة التوحيد ، يعنى فكرة أن لهذا الكون خالقاً رباً و مالكا و هو أحد

لا شريك له ، وكل ما سواه مخلوق و عقيدة أن عمر هذا الكون محدود ولا بد من أن يلقى نهايته يوماً ما ، وأن يتشتت شمل هذا النظام فى وقت ما . و يحل محله نظام جديد و إيمان بأن دوافع الخير و الشر و البر و الفجور كليهما تعيش فى داخل الانسان و لكن الفطرة الأصيلة تميل دائما نحو البر و التقوى و الخير ، و اعتقاد حقيقة أن هناك أساليب عديدة وطرقاً مختلفة لهداية البشر ، عقله ، وضميره ، وجدانه ، و شعوره و تجاربه ، و فوق كل ذلك الوحى الالهى . و الايمان الكامل بأن رفض دوافع الفطرة الانسانية ، و إنكار متطلباتها ، و صرف النظر عن مطالبها و مقتضياتها لا يمهد سبيلا إلى حياة صحيحة متزنة . و كذلك الاعتقاد بأن الأفراط فى الرفض و الانكار و التفريط فى الشهوات ونهب اللذات كل ذلك خطأ و انحراف عن القصد ، و الايمان بأن قانون الله هو العامل النافذ فى الكون و أن الانسان لاينسجم معه مالم يتقيد بقانون الله ، كل هذه حقائق أساسية لها اعتبارها و وزنها فى الحياة ،

أما النظم الأخرى التى وجدت فى العالم فأخفقت فى أداء هذه المسؤلية لأنها تتصادم مع الحقائق الآنفة الذكر و هى تحاول أن تشق لها طريقاً بالانحراف عن هذه الحقائق الكونية أو تشويهها ، فأنتج ذلك أنها لا تقدر على متابعة سيرها نحو الهدف . بل تكبو و تتعثر فى الطريق ، و الاسلام حينما اعترف بهذه الحقائق إنما أسس نظاما حضارياً يتفق معها كل الاتفاق . وهو نظام متقن يساير الطبيعة الانسانية ويتقيد فيه الانسان بالحدود التى تحتفظ بفطرته من الانسياق مع تيار الشهوات و النزوات .

يحتل الانسان فى هذا النظام المحل الرئيسى ويعتبر خليفة الله فى أرضه

يتمتع بحرية الارادة و قوة الحكم إنه ليس مجبراً كما تقول فلسفات الجبرية و مذاهبها ، و لا حراً منطلقاً كما تراه العلمانية و المادية إنه منح الحرية ، و قوة التمييز بين الخير و الشر ، و أحيلت إليه مسؤلية أعماله ، و وضع له طريق واضح مستقيم إذا سار عليه وصل إلى الغاية و أدرك مرضاة ربه و حصل على السعادة الدنيوية و النجاة فى الآخرة .

و بالنظر إلى هذه الفكرة يتمتع كل فرد بوجوده المستقل و تشخصه الذاتى ، و لذلك فان الاحتفاظ بشخصيته و تربيتها الصحيحة المتزنة مشكلة ذات أهمية بالغة فى هذا النظام . وكل نظام ينفى أهمية الفرد متعارض مع فكرة الاسلام و بالرغم من أن الاسلام يريد إصلاح المجتمع وتشييد صرح النظام بأجمعه على أسسه . ولكنه لا يرضى بذلك أبداً على حساب الفرد ، بل إنه يخضع الاجتماع والفرد كليهما لمرضاة الرب تبارك وتعالى ، هذه هى طبيعة الاسلام الأصيلة و مطلبه الازم لفكرة الخلافة فى الأرض ، إذ كل واحد منهما يتعاون بعضه مع بعض ،

و باعتبار هذه الفكرة إن حقوق الانسان الأساسية منحة من الله ، و هى ليست نتيجة قانون دنيوى ، أو جهود سياسية مبذولة ضد الحكام السياسيين ، فهى محفوظة من كل تعديل و تغيير ، و إخضاع للاحوال و الظروف ، ولا شك أن الفرد لا يحق له أن يضحى بالمصلحة العامة ، غير أن المجتمع لا يقدر أن يدوس حقوق الفرد الأساسية فى أى حال ، و ما يتمتع به أفراد هذا المجتمع من حرية الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر إنما هو ثمرة هذه الفكرة ، و لا يتم منصب الخلافة ما لم يستند إلى هذه الناحية المهمة .

و نتيجة لهذا النظام يصبح الانسان عبداً لله فقط وسيداً للكون كلـــه ، فالجبـال مهما كانت شامخة ، و الطاقة الكهربائية على تضخمها و غلتها ، و البحار على سعتها وهيبتها ، مسخرة لخدمته ، و كل مؤسسة أو هيئة تؤسس و تقوم فى المجتمع الانسانى إنمـا تكون بمثابة خادم وعبد للانسان ، لا بمنزلة سيد أو مخدوم ، و تلك هى النقطة الدقيقة الحساسة التى ينبع منها اجتماع انسانى حقيقى ، و من ثم يتكون الجانب الاقتصادى ، اقتصاداً انسانياً خالصاً .

إن هذا النظام ينظر إلى جميع مصالح الحياة من وجهة نظر الأخلاق و يقررها فى ضوئهـا ، إن فكرة الأخلاق فيه لا تقوم على أساس القبول لبعض نواحى الأخلاق التقليدية فى عدة أمور بصرف النظر عن النواحى الخلقية فى جميع الأمور الأخرى و بنائهـا على أساس النفعية و الانتهازية والحرص و الهوى . إنه يقيد الحياة بأسرها سواء كانت فردية أو جماعية ، مدنيـة أو منزليـة ، سياسة أو اقتصادية روحانية أو مادية بالأخلاق ، وينظمهـا فى سلكها ، و يعترف فى جميع مجالات الحياة بتصادم الخير مع الشر و الحق مع الباطل ، و يعلم ترك الشر و الامتناع عنه ، و أخذ الخير و العمل به . إن قيمة الانسان المتميزة فى نظره أنه يفرق بين الحلال و الحرام ، بالتأمل فى كل أمر من أمور الحياة من حيث إنه حلال أو حرام . باعث على الخير أو الشر ، مؤسس على الحق أو الباطل .

وكلما سارت الحياة و خاصة الحياة الاجتماعية على هذا المنهج يتكون منه مجتمع أنزه من كل فساد ، أبعد من كل ظلم و عدوان ، و مهما صدر من أفراده خطأ أو ذنب مرة واحدة ولكنه يندم على ذلك ويتوب إلى

إلى ربه مأة مرة ، و كذلك فان هـــذا النظام يلح على استعمال الوسائل الصحيحة النزيهة بله عن المقاصد الشريفة والغايات النبيلة ، و بذلك استطاع الاسلام أن يضع سداً ثقيلا على طريق الشر و تفاقم أخطاره فى هذا المجتمع .

و يقيم هذا النظـام اتزانا جميلا بين الفرد و الاجتماع إنه لم يخطئ فى ترتيز كل عناية و اهتمام باصلاح الفرد و اعتباره غاية أسمى من غير نظر إلى الجماعة ، كما فعلت بعض الفلسفات الخلقية و المذاهب الاصلاحية التى وجدت فى العالم ، و لا أنه وقع فى سفاهـة و حمـاقـة كما وقعت فلسفات الغرب و أفكاره الجديدة من الايمـان بأنه لا بد من تغيير البيئة و الاجتماعية ، لتغيير الانسان و إصلاحه ،

أما نظامنا الاسلامى فانه يبدأ إدخال التغير فى الانسان من قلبه ، إنه يغير الحياة و يغير بتغييرها النظام الاجتماعى فى ضوء تعاليمه لكى يتحد كل واحد منهما للعمل لغاية واحدة ، وتسرى فى كل منهما روح واحدة و دوافع بعينها ، و يتقدما نحو هدف واحد ، و يتعـاونا فيما بينهما فى تحقيق الغرض ، إن الاسلام يجمع بين الكمال و الاتزان ، فلا يعتبر الانسان بمجرد شر و ييأس منه و لا أنه يراه محض خير فيتغـافل عن تقييده بقيود الأخلاق ، إنه يتناول الفرد و الاجتماع بالاصلاح و التربية ، و يتمكن بذلك من إحداث انقلاب صالح شامل فيهما جميعاً ، إن القانون الأساسى الأصيل فى الاسلام هو أن يتخذ المرء التقوى شعاره و الجهـاد منهجه ، أما التقوى فمعناها أن يستمر الانسان باذلا جهوده لصوغ الحياة فى قالب مرضاة الله متحذراً من جميع الذنوب و متجنباً كل الآثام ، و الجهاد بغى أن يركز طاقاته و قواه فى تثبيت

دعائم الدين الحق فى الأرض ، إن قواعد التقوى تزين حياة الفرد كما أن قواعد الجهاد تمنح الحضارة والتاريخ اتجاها صحيحاً ، و بقواعد التقوى ينشأ الاتزان فى حياة الانسان ، و بقواعد الجهاد يقوم النظام الاجتماعى بخدمات البناء و التنمية ، و بالتقوى لا تتجمع القوى المادية والخلقية ، ولا يتألف الجسم مع الروح فحسب بل يتصل الانسان من أجلها بقوة الكون كله ويخالقه اتصالا يقضى على كل تصادم أو صراع بينها ، حتى لا تنشأ مشكلة المغايرة (Alienation) فى مثل هذا المجتمع أبداً ، و كذلك قواعد الجهاد تصل الطائفة المؤمنة بالانسانية كلها برباط وثيق من الغاية الصحيحة و تعمل لنظم النوع البشرى كله فى نطاق الحق .

إنها قواعد و مبادئ تنال بها المادية وجهتها الصحيحة و تتحسن بها الناحية الخلقية ، و تتجه بها الحضارة والمدنية نحو الهدف المستقيم ، ويتقدم بها التاريخ نحو المنزل الحقيق ، إن هاتين القاعدتين (قاعدة التقوى وقاعدة الجهاد) من قواعد التكامل وقواعد الاصلاح والتقدم فى وقت واحد .

إن هـذا النظام يعتبر الانسانية كلها أسرة واحدة ، إنه يحطم كل صنم جديداً و قديماً من أصنام اللون والجنس والحدود الجغرافية و اللغات و الحضارات ، و يعلن مدوياً مجلجلا أنه لا فضل لعربى على عجمى و لا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم من آدم و آدم من تراب ، إنه يؤكد أن الله هو خالق الناس جميعاً ، وأنزل لهم قانونا واحداً ، مقياسهم واحد ، و باب الله مفتوح لكل بشر ، و هكذا فان هذا النظام لا يؤسس حضارة إنسانية فحسب و إنما يقيم حضارة عالمية ، من غير أن يشاركه فى ذلك أى نظام من وضع البشر .

ليس فى هذا النظام إكرام بنى آدم فقط بل إن طبيعته بناءة . إصلاحية تربوية ، إنه لا يرضى باحـداث أى تغيير أو ثورة بالعنف و الاكراه . لأنه يرى كل ثورة تأتى عن هذا الطريق غير طبعية ، و لا شك أن استعمال السيف لاحقاق الحق واجب ولكن طبيعته لا تبنى على دافع الانتقام ، إنه يؤسس الحياة على الحب و الأخوة ، و قد يستعمل السلاح للقضاء على الظلم والاستغلال ولكن لنصرة المظلوم و قمع العدوان فقط ، لا لغرض آخر ، إنه لا يسلط على الناس عقيدة أو مذهباً ، وقد أعلن النبى ﷺ : « إنما بعثت معلماً » .

إن طبيعة ثورة الاسلام تبتنى على التربية والدعوة والاصلاح ، إنه لا يرضى باخضاع الرقاب ، بل يريد تسخير القلوب و فتح النفوس ، فان خضوع الرقاب تابع لتغير القلب .

إنه عندما يشرح للحياة مبادءها و قيمها الذاتية فانما يراعى مع ذلك تغييرات الزمان ، و أحوال الوقت و مشكلات الساعة ، إن تعاليمه ليست من وضع إنسان حتى تفقد قيمتها مع مرور الزمان ، إنه لا يتأثر بتغير الزمان والمكان فى حال ما ، لأن صانع الزمان والمكان هو صانعه ولأجل ذلك فانه يواجه التحديات فى كل عصر و يرد عليها بثقة و إيمان ، فكلما تحدث حاجة نجد فيه ما يسدها ، وكلما نخطو إلى الأمام ينكشف لنا مزاياه و يبدو أن تعاليمه أسفر وأوضح من الصبح المشرق الذى يلى الليل المظلم .

الأستاذ أبو بكر القادرى

واقع المسلمين يدعو إلى الاشفاق والألم (١)

إن النظرة العدائية للدين و عزله عن شعب الحياة ، والنظرة المادية الصرفة للحياة ، والانحطاط الخلقى ، و الثقافة المتنكرة لكل المبادئ و القيم الاسلامية ، والحرب المشهرة على القوانين والأحكام الاسلامية واستبدالها بقوانين أجنبية ، والأوضاع المبرهشة فى كل نواحى الحياة ، كل ذلك نتيجة تخطيط رهيب وضعه المستعمرون للقضاء على مقوماتنا و قيمنا حتى يجعلونا لقمة سائغة فى أفواههم ، و لست بالمتجنى ولا بالمدعى إذا ما قلت هذا ، فهاكم ما كتبه أحد هؤلاء المخططين لاضعاف كيان الدين من نفوسنا .

كتب المسيو شاتليه مقالا افتتاحيا فى العـدد الخاص بالتبشير من مجلته الفرنسية « العالم الاسلامى Le Monde Musulman منذ أكثر من أربعين سنة ما يلى :

« لا شك أن إرساليات التبشير تعجز أن تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية فتنشرها لما يتحكك الاسلام بصحف أوربا ، وتتمهد السبل لتقدم إسلامى مادى ، و تقضى إرساليات التبشير لباتتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية التى لم تحفظ كيانها و قوتها إلا بعزلتها وانفرادها ، ثم

(١) نرجو تصويب عنوان هذا المقال فى الفهرس .

يقول : و التقسيم السياسى الذى طرأ على الاسلام سيمهد السبل لاعمال المدنية الأوربية ، إذ من المحقق أن الاسلام يضمحل من الوجهة السياسية و سوف لا يمضى زمن غير قصير حتى يكون الاسلام فى مدينة محاطة بالأسلاك الأوربية ، و يقول : ولا ينبغى لنا أن نتوقع من جمهور العالم الاسلامى أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه و خصائصه الاجتماعية ، إذ الضعف التدريجى فى الاعتقاد بالفكرة الاسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له ، سوف يفضى بعد انتشاره فى كل الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها ، لا إلى نشأتها بشكل آخر » انتهى بنصه .

فهذا المقال أيهـا القراء يعطيكم المثال الواضح على المؤامرات التى كانت تدبر للاسلام من طرف خصومه الألداء ، و هو يدفعنا لأن نفتح أعيننا على الحقائق المرة التى كنا عنها غافلين

إن الانحرافات التى نرى عليها بعض شبابنا فى تفكيرهم و اعتقادهم إن هى إلا نتيجة مؤامرات رهيبة و خبيثة أرادت أن تكيد لهـذا الدين وتمحوه من الوجود ولكن الله العلى القدير يقول وقوله الحق : « يريدون ليطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون » فعلينا أن نعمل يداً فى يد لحفظ كياننا الروحى الاسلامى وعلينا أن نصون ثقافتنا الاسلامية المتينة ، وعلينا أن نطعم هذه الثقافة بكل جديد و مفيد شريطة أن لا تكون على حساب عقيدتنا المثلى التى بها ندين .

إن واقع المسلمين يدعو إلى الاشفاق و الألم و الحسرة فزيادة على تخلفهم المادى والفكرى فهم فى صراع مع بعضهم وصراع مع خصومهم ،

صراع لا يستفيد منه إلا خصوم الاسلام من الصهاينة والمستعمرين .

إن مبادئنا الاسلامية المثلى قادرة على أن تكون مرشداً لنا فى هذه الظروف بل هى التى تستطيع أن تقف أمام هذه التيارات الجارفة من المبادئ الهدامة والأفكار المستوردة .

يجب أن نفهم الاسلام فهما صحيحاً منبعه القرآن الكريم و السنة النبوية و يجب أن نحدد منهاجنا فى الحياة فيكون تصورنا للكون والانسان تصوراً واضحاً مستمداً من حقيقة الاسلام ، تصوراً يوازن بين مطالب المادة و مطالب الروح ، تصوراً يجعل أمامه القول المأثور : إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً و اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

فلابد إذن من إبراز الفلسفة الاسلامية بنظرياتها الاجتماعية والخلقية لنسير على منوالها فى حياتنا ، فنستطيع أن نفرق بين فكرة وفكرة ومذهب و مذهب ، ويكون لنا مقياس صحيح نقيس به تصرفاتنا وأعمالنا ، إن هذه الفلسفة الاسلامية قد تلتقى مع هذه الحضارة الغربية التى حطت علينا بكلكلها و سيطرتها فى بعض النواحى ولكنها تختلف عنها فى كثير من المرامى والأهداف و المبادئ ، فاذا كانت الحضارة الغربية تعتقد أن نظام العالم سائر فى طريقه بلا قصد و لا غاية ، و أن للانسان رغبات تدفع طبيعته لتحقيقها ، وأنه لا مصدر للهداية والارشاد ، وأن الانسان هو الذى بنفسه يستخرج قانوناً للسلوك والعمل الانسانى ، وأن نتائج أعمال الانسان منحصرة فى هذه الدنيا وليس من ورائها من حياة أخرى ، وأنها تربط العلاقات بين أفرادها على أساس مادى صرف ، وأنها تسن الشرائع والأحكام والقوانين دون التجاء إلى أوامر السماء ودون اعتبار لرسالات الرسل عليهم السلام،

فان حضارتنا الاسلامية على العكس من ذلك كله تعتقد أن العالم سائر فى طريقه بتدبير حكيم عليم ، و أن مصدر الهداية والارشاد من الوحى المنزل على الرسل ، وأنه لابد من حياة أخرى يجازى فيها كل على ما قدمت يداه .

إننا مدعوون للبناء ، بناء دولنا على أسس صحيحة سليمة ، بناء نهضتنا على أساس متين لا تستطيع أن تقوضه الهزات ، و لا تقدر أن تذروه الرياح ، بناء مستمد من تعاليم ديننا الحنيف و سنة رسولنا الأعظم ﷺ ، و سوف لا نستطيع أن نبنى ، و سوف لا يكون بناؤنا صحيحاً إلا إذا جددنا إيماننا و قوينا من إرادتنا و صححنا عزيمتنا فبالايمان وحده نستطيع أن نحقق الأهداف و نوضح المرامى ، و ندعو إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، و نحاول أن نغير من أحوالنا وبالايمان نستطيع أن نعيد لبلادنا مجدها و كرامتها و قيمها فى المعمور ، و الطريقة الوحيدة هى أن يخلق كل واحد من نفسه و بوعيه وإرادته أيها الاخوة مسلما مؤمنا عاملا صالحا .

إن للانقاذ طريقاً واحداً هو إصلاح النفوس وتهذيبها والتقاء الأفكار واتحادها ، والتضامن على فعل الخير ، والتعاون على نصرة الحق ، و رمى الكسل والخمول المستبد بالنفوس ، والخروج من هذه السلبية المقيتة التى لا تجدى نفعاً ، و الابتعاد عن هذه الانهزامية التى لا تدفع ضراً و الشعور بالمسؤولية أمام أداء أى واجب تفرضه المصلحة العامة اللامة .

لقد كرمنا ربنا فحملنا أداء الأمانة الملقاة على عاتقنا وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ، لنجعل من هذه الخيرية مثالا حياً تراه الأعين ، وتلمسه الأيدى ، وتستفيد منه طبقات بنى الانسان .

إن الانقاذ لن يأتينا من شرق و لن يأتينا من غرب ، و إنما يأتينا

واقع .

من مصدر واحد و منبع واحد : كتاب الله ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

فليخلق كل واحد من نفسه ذلك المثال الاسلامى الحى العامل النابض بالحياة الصالح للخلافة فى الأرض ، و ليشرع كل واحد منا بأداء واجبه حسبما ما يستطيع وفى الوسط المجتمعى الذى يعيش فيه ، سواء فى المدرسة أو فى المعمل أو فى المقهى أو فى النادى .

إننا مدعوون لايقاد شعلة الايمـــان فى نفوس هؤلاء الشباب حتى نكون منه روادا صالحين لتحمل عبء الأمانة : أمانة الدفاع عن الحقيقة الاسلامية ، ولابد أن يكون هؤلاء الرواد متمكنين من مختلف العلوم ومن العلوم الاسلامية بالخصوص ، مؤمنين بالقيم المثلى التى أتى بها الاسلام ، متخلقين بأخلاق السلف الصالح من الأمة ، قادرين على الاقناع و التأثير والمحاججة بأسلوب العصر و طريقته .

فلنعمل على تكوين هذه النخبة المؤمنة ، ولنرب فيهـــا روح العمل و الصدق والتضحية ، و لنزودها بثقافة متينة تفتح أذهـانها و تساعدها على أداء رسالتها فى الحياة .

الدّعوة الإسلاميّة

معركتنا داخل أنفسنا

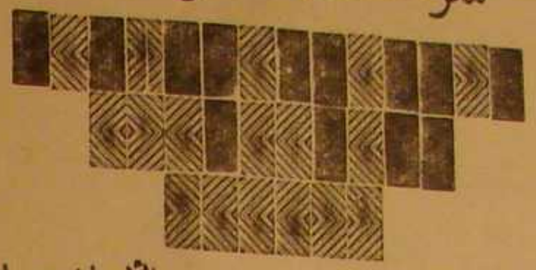

الأستاذ عصام العطار

إننا نتحدث كثيراً عن حاجة المسلمين إلى المال ، أو القوة المادية ، أو الاختصاصات العلمية المختلفة ، الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية و غيرها . . . لاقامة حكم الله عز وجل ، و لا نتحدث إلا قليلا جداً عن حاجة المسلمين إلى صدق الايمان بالله تعالى ، وتمتين الصلة به ، وخلع كل ما يعبد من دونه ، و امتثال أمره و نهيه ، و تحرى مرضاته فى كل عمل ، و إرادة وجهه فى كل قصد . مع أننا ان لم نؤمن بالله حق الايمان و لم نربط قلوبنا به ، ولم ننظر من وراء كل عمل إلى مرضاته ، لم ننتفع بكل ما سوى ذلك ، و لم تفدنا الوسائل إن صارت فى أيدينا الوسائل . وكم رأينا المال فى أيدى بعض المنعوتين بالاسلام مفسدة لهم ، و مهلكة للدين و الخلق ، وكم رأينا الفكر والعلم مطية للأغراض والمنافع الحقيرة ، بل كم رأينا من العلماء بالاسلام نفسه من يضعون أنفسهم فى خدمة أعداء الاسلام ، و يحاربون أولياءه ، و يشترون بآيات الله ثمناً قليلا ، مكسباً أو منصباً أو مالا أو جاهاً أو عرضاً زائلا ، و متاعا فانيـــا من متاع هذه الدنيا . . .

لابد إذن قبل كل شئ من الايمان الصادق ، و العبودية الخالصة ،

و المراقبة الدائمة ، و أن تكون كل حركة من حركاتنا ، و كل طاقة من طاقاتنا ، لله عز و جل . و عندها تكون الوسائل الأخرى نافعة لنا فى ارضاء ربنا ، و بلوغ أهدافنا ، و تحقيق غايتنا ، واصلاح دنيانا وآخرتنا . بل إننا عندما نسلم لله عز وجل حقاً وصدقا ، و ننقاد لما أمرنا فى كتابه و سنة رسوله ﷺ ، لابد لنا من اتخاذ الأسباب ، و استكمال الوسائل ، طاعة لله ، وامتثالا لأمره ، و إقامة لدينه و حكمه .

و لم يكن السر فى انتصار المؤمنين الأولين ، ونجاحهم فى تحقيق أهداف الاسلام ، أنهم ملكوا الوسائل ، فهم إنما ملكوها بفضل إيمانهم ، و اتباعهم ، واستجابتهم لمتطلبات دينهم . . . إنما سر النجاح و النصر ، أنهم بايمانهم الصادق الخالص ، و بانصياعهم الكامل لأمر الله عز وجل ، و رغبتهم العميقة فى مرضاته و ثوابه ، قـــد توفر عندهم الاستعداد التام لتلبية كل حاجة من حاجات الاسلام ، والنهوض بكل مطلب من مطالبه ، مهما كانت المشقة والتضحية .

لقد احتاج الاسلام إلى الدعوة ، فكان المسلمون خير دعاة ، وأجراً دعاة ، وأصبر دعاة . . . بلغوا رسالة الله بأقوالهم و أفعالهم و واقعهم ، و شقوا لها الطريق فى أصعب الظروف ، و أعظم المخـــاطر ، لم يرهبهم الوعيد والتهديد ، و لم يثنهم ما أصابهم من المشركين فى أنفسهم ، و فى أهليهم ، و فى أموالهم ، و فى أخوانهم ، و صبروا على الأذى المرير ، والبلاء الشديد ، دونما أمل بعون من الأرض — وقد تكالب عليهم أهل الأرض — ولا رجاء إلا بالله عز وجل ، و بما عند الله من ثواب . .

واحتاج الاسلام إلى الدم يبذل من أجله ، دفاعاً عنـــه ، و قتالا

لأعدائه ، أعداء الحق ، و جند الباطل ، و عبيد الاهواء والمنافع والمطامع الكائدين له ، المتظاهرين عليه ، المستكبرين الطاغين . . فاستبق المسلمون فى بذل دمائهم ، وتقديم حياتهم ، ولم يروا فى الشهادة — عندما كانت تكتب الشهادة — إلا انتصاراً و فوزاً دونه كل فوز ، و ظفروا بما يتطلعون إليه ، ولا يعدلون به غيره ، من رضا الله ، و جنة الخلد . .

واحتاج الاسلام إلى المال ، فقدموا المال كما قدموا الأرواح ، و لم يضنوا بما حصلوه ، و تعبوا فيه ، وكانوا أحوج ما يكون إليه ، ولم يبخلوا أن ينفقوا ما أنفقوا ، و أن يتحملوا من الشدة والحرمان ما تحملوا ، طيبة نفوسهم ؛ راضية قلوبهم ، مستيقنين أعظم الربح عند الله . .

واحتاج الاسلام على توالى القرون إلى ضروب المعارف والدراسات والجهود العلمية لفهمه ، وتبيان أحكامه ، وتوجيه الحياة - بجوانبها المختلفة - بهديه ، و تطويرها فى حدوده ، والدفاع عنه ، و كشف باطل المتشككين فيه ، والمفترين عليه ؛ و الزائغين عن طريقه القويم ، فنهض المخلصون من أبنائه بذلك أحسن نهوض ، و لم تكن مبادرتهم لسد هذه الثغرة أبطأ من مبادرتهم إلى الجهاد بالمال و النفس ، و لا عملهم أقل ، و لا عزمهم أضعف .

واحتاج الاسلام إلى كثير غير ذلك فى تبليغ دعوته ، وإقامة حكمه فوجد دائماً من يسد حاجته على أكمل وجـــه ، بدافع ذاتى أصيل عميق ، وبرغبة صادقة جارفة ، لا تقف أمامها العوائق ، ولا تكبر عندها التضحيات الجسام . . .

و لم يبدأ الاسلام دعوته بالفروع ، ولكن بدأها بالجذر وبالأساس .

لم يطالب الناس أول ما طالب بالدعوة ، ولا بالقتال ، ولا بالزكاة ولا بالصوم ، ولا بترك الخمر والميسر . . و إنما طالبهم أول ما طالب بالايمان بالله ، و توحيده ، و خلع ما يعبدون من دونه . . لقد بدأ بالعقيدة و لم يبدأ بغيرها من التكاليف ، لأنها الأساس الذى يبنى عليه كل تكليف ، وبدأ بالباطن لا بالظاهر ، بقلب الانسان و فكره قبل كل شئ ، لأنه من هناك يبدأ التغيير ويكون الانطلاق .

لما أمر الله رسوله ﷺ باظهار دينه ، و بأن يصدع بما جاءه منه ، و بأن يبادى الناس بأمره ، و يدعو إليه ، صعد الصفا و نادى : يا معشر قريش ، قالت قريش محمد على الصفا يهتف ، و أقبلوا عليه يسألونه ماله ، فكان مما قال : « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة ، يا بنى تميم ، يا بنى مخزوم ، يا بنى أسد . إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله » .

و « لما اشتكى أبو طالب ، و بلغ قريشاً ثقله ، مشوا إلى أبى طالب — كما قال ابن عباس — وهم أشراف قومه ، فقالوا : يا أبا طالب : إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى ، و تخوفنا عليك ، و قد علمت الذى بيننا و بين ابن أخيك ، فادعه فخذ له منا ، و خذ لنا منه ، ليكف عنا ، و نكف عنه ، و ليدعنا و ديننا ، و ندعه و دينه .

فبعث إليـــه أبو طالب فجاءه ، فقال : يا بن أخى ، هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ليعطوك ولياخذوا منك ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم ، كلمة واحدة تعطونيها ، تملكون بها العرب ، و تدين لكم بها

العجم » فقال أبو جهل : نعم و أبيك و عشر كلمات ، قال : « تقولون لا إله إلا الله ، و تخلعون ما تعبدون من دونه » .

وما أروع هذا الحديث الذى يرشد فيه رسول الله ﷺ إلى نقطة البدء ، و قطب الوحى فى هداية الناس و إصلاح أحوالهم ، « ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هى القلب » (رواه البخارى ومسلم) .

وهذا المنهج الذى نهجه رسول الله ﷺ ، هو منهج الرسل جميعاً فى الدعوة إلى الله ، و إقامة شرعه ، وهو المنهج الذى يلائم فطرة الانسان التى فطره الله عليها ، وما سن الله فى خلقه من السنن .

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (النحل ٣٦) .

و يفصل لنا تعالى بعض ذلك فيقول :

(ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون) (المؤمنون ٢٣) .

(ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ، فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) « المؤمنون ٣١ — ٣٢ » .

(ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) « المؤمنون ٤١ » .

(ثم أرسلنا رسلنا تترا) « المؤمنون ٤٤ » .

يتتابعون على تبيان هذه الحقيقة الخالدة ، و على الدعوة إليها ، وتقريرها و ترسيخها فى القلوب والعقول ، رسولا بعد رسول .

(و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا

أنا فاعبدون) « الأنبياء ٢٤ » .

إلى أن ختم تعالى رسله بمحمد ﷺ ، فأمره أن يقول :

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه و ويل للمشركين) « فصلت ٦ » .

و عندما آمن المسلمون الأولون بالله و بالرسول و باليوم الآخر ، انقادوا انقياداً طبيعياً لكل ما جاءهم به ﷺ ، فى خواص أنفسهم ، و فى علاقاتهم بمجتمعهم ، مؤتمرين بما أمر به ، منتهين عما نهى عنه ، ولم يحتج الأمر إلى اقناع جديد بكل تكليف ، وإلى مشقة كبيرة فى انفاذ كل حكم عندما حصلت المقدمات أعقبتهـــا النتائج ، و عندما ثبت الأصل الحى فى الأرض امتدت الفروع إلى السماء ، و عندما رسخ أساس البناء أمكن أن يقوم البناء السابق المتين . و لو لم يكن الايمان أولا لما كانت لوازمه ، لو لم يكن الأصل ما كانت الفروع ، لو لم تكن العقيدة ما كانت الشريعة ، وما كانت الأمة ، وما كانت الدولة .

ولابد أن تكون للايمان الصادق لوازمه و آثاره الداخلية فى القلب والفكر والضمير ، والخارجية فى كل مظاهر السلوك الخاص والعام ، وأن نلمس هذه اللوازم والآثار .

قال تعالى :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا و على ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة و رزق كريم) « الأنفال ٢ — ٤ » .

و قال تعالى :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) « الحجرات ١٥ » .

و قال :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) « التوبة ٧١ » .

و دل الله تعالى رسوله الكريم على من يكذب بالدين ، بأعماله السيئة الفاسدة المخالفة لما شرع الله :

(أرءيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) « الماعون ١ — ٣ .

إذ لو كان يؤمن بالله حقاً و صدقا ، و بقيامه المؤكد بين يديه « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء » لاستحى منه ، و خاف عقابه أن يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ولطلب ثوابه وتقرب إليه بترك ما فعل ، وفعل ما ترك من البر والخير .

وإذا خلا قلب المسلم من الايمان بالله ، انعدمت لوازمه عنده ومات الاسلام فى حياته ، وانتهى عمله من أجله ، كالشجرة التى اجتثت جذورها و صدر حياتها و نماؤها ، و أساس بقائها ، فانها تذبل و تموت ، وتتحول إلى حطب يابس لا يصلح إلا للحرق .

و إذا نقص الايمان فى قلبه ، و ضعفت صلته بربه ، و وهن ارتباطه به ، وانصرفت نفسه إلى الدنيا ، و آثرها بحبه و سعيه ، ذبل الاسلام فى

حياته ، و أصبح رسماً حائلا ، لا حرارة فيه ، و لا روح له ، و تراجع عنده إلى مرتبة متأخرة ، و لم يعد يصدر عنه ، أو يقيس به ، أو يجد حلاوة العمل له ، و التضحية من أجله ، بل إنه ليستكثر عليه كل جهد ، ويستغلى كل بذل ، ويحسه عبئاً ثقيلا على كتفيه ، وحاجزاً فى وجهه دون ما يشتهيه ، فهو يتخفف منه خطوة بعد خطوة . و يوماً بعد يوم ، و لا يستبقى إلا أشكالا ميتة لبعض أجزائه التى لا تتعارض فى ظاهر الأمر — أو لا يسمح لها بأن تتعارض — مع أهوائه و شهواته و مصالحه الدنيوية الغير المشروعة ، وهو يحكم فيه هذه المصالح والشهوات والأهواء فيقبل منه و يرفض ، و يأخذ و يدع ، و يغير ويبدل ، ويطيع فيه الناس ولا يطيعه فى الناس ، ولا يشعر نحوه بأى تبعة . ولا يحب فيه أحداً ، و لا يبغض أحداً ، فاذا أحب فيه أحيانا أو أبغض . فى أمور لا تدخل فيها مصلحته أو هواه ، لم يتجاوز ذلك قلبه إلى موالاة من يحب ، ومعاداة من يبغض ، بل ربما وقف مع أعداء الاسلام يحارب معهم الاسلام ، ايثاراً للسلامة ، أو طمعاً فى الغنيمة ، أو مجاراة للتيار ، و تزلفاً لبعض الناس . . .

و هذه هى حال كثير من المسلمين الآن ، وقد نجد فيهم أصحاب الذكاء ، و أصحاب المهارة ، و أصحاب المعرفة ، و اصحاب الاختصاصات . . ولكنها مواهب مصروفة فى غير طريق الاسلام ، معطلة عن خدمته ، والعمل لتحقيق أهدافه ، مسخرة فى كثير من الأحيان لحربه ، و التمكين لمذاهب وأوضاع مناقضة له ، و لا سبيل إلى تبديل هذه الحال ، و تحويل هذه الامكانات إلى خدمة الاسلام ، إلا أن تتحول القلوب إلى الله ،

و تملئ به ، وتخلص له ، و تتأجج بحبه و خشيته ، ويصبح الله ورسوله ، والجهاد فى سبيله ، أحب إلى أصحابها من الآباء ، والأبناء والاخوان ، و الأزواج والعشيرة ، والأموال والتجارة و المساكن و الدنيا كلها . . و تغدو الدار الباقية آثر عندهم ، وأرجى لهم ، من الدار الفانية ، و تنتزع من صدورهم خشية الناس ، ليحل محلها خشية الله .. وبذلك تدب الحياة ، بمعرفة الله عز وجل ، وبالايمان الصادق المتدفق من القلب ، فى أوصال المسلمين .

و ينبعث الاسلام قويا غلابا فى حياتهم ، وتتوجه طاقاتهم إلى إعلاء كلمة الله ، و إقامة حكمـــه ، و يقع الانقلاب الجذرى العميق الذى يرد الأوضاع المنكوسة إلى الحال السوى ، يقع هذا الانقلاب الأصيل الحاسم فى حياتهم و مجتمعهم و أرضهم ، عنـد ما يقع فى أنفسهم أولا ، فتتغير هذه الأنفس ، و تتوجه بكل طاقاتها إلى الله عز و جل ، بعد أن تفرقت بها السبل ، وكادت تضيع ، و تستهلكها الصغائر ، وتخسر الآخرة والدنيا .

لذلك فأنا أدعو المسلمين ، و الشباب الغيورين الثائرين على الواقع الفاسد ، المتلمسين الطريق القاصد ، أدعوهم إلى رجعة حقيقية — لا رجعة كلامية لفظية — إلى الله عز وجل .

أدعوهم إلى تجديد إيمانهم به ، و خلع كل ما يعبدون من دونه ، فلا إله إلا الله .

أدعوهم إلى محبته و طاعته ، والرغبة إليه وحده لا رغبة إلى سواه ، والرهبة منه وحده ، لا رهبة ممن عداه ، و إلى معرفته ، و توثيق الصلة به ، و صدق العبودية له ، و ربط القلب والفكر ، و ربط الجوارح والحياة

بأمره و نهيه ، و ألا يتوجهوا بالقصد إلا إلى وجهه الكريم ، وأن يكون العيش عندهم هو عيش الآخرة ، و أن تكون الدنيا طريقاً لهم إلى الله عز وجل ، و إلى جنة الخلد .

إنكم — يا شباب — إذا رجعتم إلى الله هذه الرجعة الصادقة كنتم الأعلين ، و كنتم قدراً من قدر الله الذى لا يرد .

إذا أردتم الآخرة هانت عليكم الدنيا ، فتحررتم من أسار الدنيا .

و إذا عرفتم الله صغر عندكم من سواه ، و ما سواه ، بل ذاب فى أعينكم ، و فنى فى قلوبكم ، كل ما عداه ، و لم يعد يستأهل الطلب والنصب إلا قربه و رضاه .

و إذا استشعرتم رابطتكم بربكم ، و عونه لكم ، و أيقنتم أنه معكم ، رأيتم أنفسكم اقوى من كل قوى الشيطان والطغيان .

إذا رجعتم هذه الرجعة تحولتم خلقاً جديداً ، جديراً بحمل الأمانة التى أشفقت منها السماوات و الأرض و الجبال و بتكريم الله عز وجل ، واتصلت أرواحكم من وراء القرون ، بروح رسولكم و قائدكم محمد ﷺ ، وارتبطتم ارتباطاً حياً ، بالميامين من صحابته الكرام ، والتحقتم بذلك الركب الخالد العظيم ، الذى يرضى عنه الله ، و تنفتح له أبواب الجنان ، و أصبح الواحد منكم ، أثمن فى قيمته ، و أنفع لدعوته ، و أكبر فى أثره ، من ملايين المسلمين بأسمائهم — لا بحقيقتهم و أعمـــالهم — من المجرورين فى مواكب الشيطان ، المنقطعة صلتهم بالرحمن ، الغثاء الذى يحكى غثاء السيل ، لا بقاء له ، و لا منفعة فيه . . أنكم إذا رجعتم إلى الله كما وصفت ، و ملكتم هذه الروح الجديدة ، و هـــذه المشاعر الجديدة ، و هذه القدرة

الجديدة ، و هـذا التفكير و التصور ، أمكنكم بسهولة أن تضحوا بالمال ، و بالمنصب و بالجاه ، و بالدنيا جميعها ، و بالحياة كلها ، فى سبيل الله عز و جل ، و أن تستسهلوا العقبات ، و تستصغروا النكبات ، و ترتفعوا على الشدائد و المغريات ، و تستعلوا على قوى الباطل ، و طواغيت الأرض ، بايمانكم برب السماوات والأرض ، و لو كنتم عزلا من كل سلاح .

و هكذا يولد المسلم ولادة جديدة من عقيدته لا من رحم أمـه ، و ينبعث بمعرفته بالله ، و حرارة إيمانه به ، و تصديقه بوعده و وعيده ، عملاقا شامخا يرتفع ببصره ، و يعلو بأمله ، ويسمر بواقعه فوق هذه الدنيا التى لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، و فوق طغاتها المغرورين المساكين ، الذين يظنون أنهم قادرون على حرب رب العالمين ، فى مكانهم على جناح البعوضة ذاك ، و فى لمحة البصر التى يعيشونها من عمر الوجود .

و عندما توجد العقيدة الصادقة فى الله ، يوجد المسلم الحق ، لا فرق فى ذلك بين عصر و عصر ، و مصر و مصر ، و جيل و جيل ، وما تزال ملء قلوبنا و عيوننا و عقولنا — و لن تزال — تلك الصورة الصادقة الرائعة ، التى قدمها لنا سيد قطب ، بقلمه فى « المعالم » و بواقعه فى السجن و على أبواب الخلود .

قال رحمه الله عليه :

« تتبـدل الأحوال و يقف المسلم موقف المغلوب المجرد من القوة المادية ، فلا يفارقه شعوره بأنه الأعلى ، وينظر إلى غالبه من عل ما دام مؤمنا ، و يستيقن أنها فترة و تمضى ، و أن للايمان كرة لا مفر منها ، وهبها كانت القاضية ، فانه لا يخفى لها رأساً ، إن الناس كلهم يموتون أما

هو فيستشهد ، وهو يغادر هذه الأرض إلى الجنة ، و غالبـه يغادرها إلى النار ، و شتان شتان ، وهو يسمع نداء ربه الكريم :

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم و بئس المهاد ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله و ما عند الله خير للابرار) .

« آل عمران ١٩٦ - ١٩٨ »

ولقد رأينا جميعاً سيد قطب فى سيارة « البوليس » التى نقلته مما سمى محكمة إلى السجن الحربى ، بعد أن سمع الحكم عليه بالموت .

لا أستطيع أن أنسى تلك الصورة العظيمة المعبرة . . لكأنه — رحمه الله عليه — لم يتلق الحكم بالاعدام ، بل تلقى البشرى بجنـة الخلد ، فغلبته الفرحة ، و انفرجت شفتاه عن تلك الابتسامة الباقية ، التى نطقت بها أساريره ، و أشرق بها وجهه كله بنور ربه عز وجل .

إن هذه الصورة ، و هذه الابتسامة الرائعة ، فى تلك الساعة ، فى تلك الظروف لأبلغ من ألف كلمة و مقال ، إنها التجسيد الحى للطمأنينة ، و الرضى الكامل بقضاء الله ، والسمو على عالم الفناء ، إنها التعبير القوى ، يفهمه كل إنسـان — مهما اختلف اللسان — عما فاض به القلب الكبير من السعادة و الغبطة بقرب لقاء الله ، و بما حقق بالشهادة المرتقبة من الأمل ، ونال بها من الفوز ، والشهادة عند المؤمن الصادق فوز لا شك فيه و مع سيد قطب ، و قبل سيد قطب ، قدم الاسلام لنا أمثاله من النماذج الكريمة العظيمة الملهمة ؛ التى ارتفع بها الايمان إلى أرفع مستوى يتصوره الانسان ، والتى انتصبت خلال العصور المتعاقبات ، منارات شامخات ، تضئ

للبشر الطريق ، و تدل بالمثال الحى لا بمجرد اللسان ، على معجزة الايمان.

لما ورد الأمر بسجن الامام ابن تيمية بقلعة دمشق ، أظهر السرور بذلك وقال — كما نقل عنه تلميذه العظيم ابن قيم الجوزية — :

« ما يصنع أعدائى بى ، أنا جنتى ، و بستانى فى صدرى أين رحت فهى معى لا تفارقنى . أنا حبسى خلوة ، و قتلى شهادة ، و إخراجى من بلدى سياحة . . »

و كان يقول فى مجلسه فى القلعة :

« لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندى شكر هذه النعمة ، و ما جزيتهم على ما تسببوا إلى فيه من الخير . . » .

و يقول :

« المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه » .

و يقول فى السجود :

« اللهم أعنى على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك » ما شاء الله أن يقول .

و لما أدخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال :

« فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب » .

فقولوا لى بالله يا شباب ، كيف يمكن أن يقهر أمثال هؤلاء الرجال و كيف يمكن أن تنخفض هذه الجباه ؟ و كيف يمكن أن ينهزم الايمان فى هذه القلوب ؟

بالسجن ؟ والسجن عندها خلوة تصل بأحب محبوب .

بالقتل ؟ والقتل عندها شهادة تبلغ جنة الخلد .

بالنفى ؟ والنفى عندها سياحة فى دنيا الله عز وجل .

بالمحنة ؟ والمحنة عندها نعمة تستوجب أعظم الشكر .

كيف يمكن أن يقهر هؤلاء ؟ و كيف لا تنتصر بهم دعوة الله ، ولا تنال بهم أبعد الأهداف . . . وقد غدوا بالايمان المهيمن عليهم شعلة إيمان ، و أمراً من أمر الرحمن ، يعلو على وسائل أبناء الفناء ، و يصنع الله به ما يشاء .

و لقد أحس جند الله المؤمنون المخلصون الذين فرغوا من أنفسهم ؛ و وهبوا حياتهم — كل حياتهم — لربهم ، فلم يتحركوا و لم يقفوا ، و لم يعطوا ، و لم يمنعوا و لم يحبوا و لم يبغضوا ، و لم يحاربوا و لم يسالموا ، إلا به و فيه و من أجله عز وجل . . لقد أحسوا أنهم قدر من قدر الله الغلاب ، لا تصده و لا ترده قوة فى الأرض ، إلا أن يشاء الله .

« أتى رستم وهو فى طريقه إلى القادسية برجل من العرب فقال له :

— ما جاء بكم ؟ و ماذا تطلبون ؟ فقال :

— جئنا نطلب موعد الله بملك أرضكم و أبنائكم ان أبيتم أن تسلموا

قال رستم :

— فان قتلتم قبل ذلك ؟ قال :

— من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقى منا أنجزه الله ما وعده فنحن على يقين ، فقال رستم :

— قد وضعنا إذن فى أيديكم . فقال :

— أعمالكم وضعتكم فأسلكم الله بها ، فلا يغرنك من ترى حولك ،

فانك لست تجادل الأنس ، إنما تجادل القضاء والقدر » .

و بعد يا شباب :

فقد وضح لنا المنطلق الصحيح . ولم يعد بحال لمخادعة النفس أو الناس ، ببعض أعمال سطحية أو فرعية ، نوهم أنفسنا بها ، إننا مسلمون نعمل للاسلام ، لابد لنا من اعادة النظر فى أوضاعنا قبل كل شئ ، و من موقف جذرى حاسم صريح .

هل نحن مع الاسلام أم لا ؟

أما أن نضع قدما مع الاسلام وقدما مع التيار ، و نقدم فى العمل رجلا و نؤخر أخرى ، و تنظر إلى الآخرة بعين ، و عيننا الثانية تطرف وراء الدنيا ، و نرضى بأنصاف الحلول بل بالأرباع والأخماس و الأعشار . . . فهذا لن يقبل منا ، و لن يجعلنا نقطة التحول من الجزر إلى المد ، و لن يكتب بنا النصر ، و لنا الجنة . . . و لن يجعل منا إلا جيلا ضائعاً ممزقا يسلم نفسه إلى الانحراف الكامل أو إلى الدمار . . إن كنا مع الاسلام حقاً ، فلنرجع إلى الله . . فلنرجع إليه مرة واحدة بقوة وجرأة و عمق و إخلاص ، و لنصغ حياتنا كلها صياغة جديدة على هذا الأساس ، ولنبدأ معركتنا داخل أنفسنا أولا ، لتخلص لله ، ولينتصر فيها الاسلام ، و لتصبح صورة مجسمة للحق ، و عندها تهون علينا معاركنا الأخرى . . ويكون للاسلام رجاله الذين يمثلونه أصدق تمثيل ، ويعيشون له ، ويشقون طريقه . رجاله الذين يربطون مصيرهم به ، و يحصرون وجودهم فى حدوده ، فلا يكون لهم وجود خارج اطاره أبداً . . . هؤلاء الرجال هم المسلمون حقاً و صدقا ، وهم معقد الأمل ، و موطن الرجاء ، و هم الذين

يحل وجودهم كل مشكلة ، و يذلل كل عقبة ، و يحقق كل هدف ، ويبلغ كل غاية ، و يجعل البعيد قريباً ، والعسير يسيراً ، والمستحيل — على أمثالنا الآن — ممكنا . . وهم الذين تحيا بهم الأمة ، و تعود بهم إليها الروح ، و تقوم عليهم الدولة ، و تتوفر بهم لاقامتها الوسائل ، كل الوسائل ، علمية و فكرية ، و عملية ، و هم القادرون على مواجهة كل التحديات ، و على تقديم كل التضحيات ، و على الاستقامة على طريق الحق أبداً ، لا يترددون و لا يتوقفون و لا ينحرفون ذات الشمال أو اليمين ، و هم الذين اصطفاهم الله لأعلى منازل الكرامة فى الدنيا والآخرة ، و كتب لهم من فضله أن يحملوا لواء الدعوة إليه ، و الجهاد لاقامة دينه و حكمه ، فى أحلك الأيام و أقسى الظروف ، ألا فلنجدد جميعاً عهدنا لله عز وجل ، ولنستغفره لما فرط منا ، و سلف من القصور ، ولنبدأ طريقنا بالايمان ، لينتهى بنا إلى الجنة ، و نمتلك مفاتيح النصر ، و لنغذ السير ، واثقين بالله ، و بوعده الصادق الأكيد .

(وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) « النور ٥٥ » .

التخلف عن الجهاد فى سبيل الله

إعداد : الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

المتخلف عن الجهاد عمداً عندما يدعى إليه وهو قادر عليه غير مؤمن حقاً و إنما هو كافر بالله و اليوم الآخر .

لقد بين الله سبحانه و تعالى أنه لا يتخلف عن الجهاد فى سبيل الله بأمواله و بنفسه أحد عن عمد وهو يؤمن بالله و رسوله و اليوم الآخر ، و إنما الذى يتخلف عن الجهاد فى سبيل الله بماله و بنفسه إذا دعى إليه و هو قادر عليه فهو غير مؤمن بالله حقاً ، و يشك فى صحة ما جاء به الرسول ﷺ ، وهذا ينطبق على كل متقاعس عن الجهاد فى سبيل الله بماله و بنفسه فى كل زمان و مكان ، قال تعالى فى بيان ذلك : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم ، والله عليم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » (سورة التوبة الآيتان : ٤٤ - ٤٥) .

فالذين يؤمنون بالله ، و يعتقدون بيوم الجزاء لا يتلكأون فى تلبية داعى النفرة فى سبيل الله بالأموال و الأرواح ، بل يسارعون إليها خفافا و ثقالا ، كما أمرهم الله تعالى ، طاعة لأمره ، و يقينا بلقائه ، و ثقة بجزائه وابتغاء لرضاه ، وانهم ليسارعون الى ذلك فلا يحتاجون إلى من يستحثهم فضلا عن الاذن لهم .

إنما يستأذن و يتقاعس عن الخروج إلى القتال فى سبيل الله أولئك الذين خلت قلوبهم من اليقين فهم يتلكأون ، ويتلمسون المعاذير ، لعل عائقاً من العوائق يحول بينهم و بين النهوض بتكاليف العقيدة التى يتظاهرون بها و هم يرتابون فيها و يترددون .

إن الطريق إلى الله واضح مستقيم ، فما يتردد و يتلكأ إلا الذى لا يعرف الطريق أو الذى يعرفها و يتنكبها اتقاء لمتاعب الطريق .

من يفضل على حب الله و رسوله والجهاد فى سبيله شيئاً مهما كان عزيزاً عليه فلينتظر عقاب الله تعالى .

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يتوعد و أن ينذر بأن عقابه تعالى سيحل بكل شخص يؤثر أى شئ مهما كان عزيزاً على نفسه مفضلا إليها على حب الله و رسوله و جهاد فى سبيله تعالى فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله رسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره و الله لا يهدى القوم الفاسقين » (سورة التوبة : الآية : ٢٤) .

فيبين الله سبحانه و تعالى أن كل من يفضل أى شئ مهما كان عزيزاً عليه من : الآباء والأبناء و الاخوان والأزواج والعشيرة (رابطة الدم والنسب والقرابة و الزواج) و الأموال و التجارة (مطمع الفطرة و رغبتها) و المساكر المريحة (متاع الحياة و لذتها) . . . إن كل من يفضل أى شئ من هذه الأشياء العزيزة على النفس المفضلة إليها على حب الله و رسوله ، و حب الجهاد فى سبيله ، و بكل مشقاته ومقتضياته ، وما

يتبعه من تعب و نصب ، و ما يتبعه من ألم و تضحية ، و ما يتبعه من جراح و استشهاد . و هو بعد هذا كله ، الجهاد فى سبيل الله مجرداً من كل الصيت والذكر و الظهور ، مجرداً من المباهاة والفخر و الخيلاء ، مجرداً من احساس أهل الأرض به و أشارتهم إليه ، و أشادتهم بصاحبه ، و إلا فلا أجر عليه ولا ثواب .

فكل من يفضل أى شئ مهما كان عزيزاً عليه من أناس وأموال و لذات أخرى على حب الله و رسوله والجهاد فى سبيله فلينتظر عقاب الله تعالى و نكاله به ، ولهذا قال تعالى : « حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

و روى الامام أحمد وأبو داؤد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تبايعتم بالعينة ، و أخذتم بأذناب البقر ، و رضيتم بالزرع ، و تركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

و روى أبو داؤد عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « من لم يغز او يجهز غازيا ، أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » .

احكام معاملة المتخلفين عن القتال فى سبيل الله

عند استنفارهم إليه وهم قادرون عليه .

تذكر كتب السيرة أن غزوة تبوك كانت آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ ، و كذلك كانت آخر غزوة استنفر إليها المسلمين ، وتخلف فيها عن الرسول ﷺ و أصحابه المجاهدين الأبرار تخلف أقوام أجريت عليهم أحكام

معينة ، و نزل بها وحى من السماء .

وتذكر كتب السيرة أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، و ذلك فى زمان من عسرة الناس ، و شدة من الحر ، و جدب من البلاد ، و حين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم و يكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان الرسول ﷺ ، قلما يخرج فى غزوة إلا كنى عنها ، و أخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فانه بينها للناس لبعد الشقة ، و شدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز و أخبرهم أنه يريد الروم . وعندما خرج الرسول ﷺ لغزو الروم تخلف عنه رهط من المنافقين ، و رهط ثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

و عندما رجع الرسول ﷺ بدأ كعادته بالمسجد فركع ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون فجعلوا يحلفون له ، ويعتذرون و كانوا بضعة و ثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ، و إيمانهم ، و يستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

أما الرهط الثلاثة الذين لم يتخلفوا عن نفاق ، و لا يتهمون فى إسلامهم ، و إنما تخلفوا كسلا و كان فى نيتهم الخروج ، فقد أجاب كل منهم الرسول ﷺ عندما سأله عن سبب تخلفه أجاب كل منهم بأنه لا عذر له فى تخلفه ، وأن أحواله كانت تسمح له بالخروج ، و لم يكذب أى منهم فى أقواله ، و قد أجرى الرسول ﷺ على هؤلاء المؤمنين الثلاثة الصادقين

فى إيمانهم و صدقوا الرسول فى كلامهم الأحكام التالية :

١ نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلام هؤلاء الثلاث .

٢ أمرهم باعتزال نسائهم فلا يقربوهن و ذلك فى اليوم الأربعين من مقاطعة المسلمين لهم .

واستمروا فى ذلك الحال مدة خمسين ليلة إلى أن عفا الله تعالى عنهم فى قوله تعالى :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ، و على الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » (سورة التوبة الآيتان ١١٧ ، ١١٨) .

و من ذلك يستفاد أن للامام أن يطبق مثل هذه الأحكام على المؤمنين الصادقين فى إيمانهم ، ولا تظهر عليهم علامات النفاق إذا ماتخلفوا عن القتال فى سبيل الله بدون عذر عند ما يستنفرهم الامام لذلك ، إذا ما تابوا و أظهروا التوبة فى أقوالهم و أفعالهم .

وأما المنافقون الذين تخلفوا عن القتال فى سبيل الله عمداً بدون عذر ، فعندما رجع رسول الله ﷺ من غزوته تلك ، جعلوا يحلفون له كذبا ، و يعتذرون إليه ، و قبل الرسول ﷺ أعذارهم ، و وكل سرائرهم إلى الله تعالى ، وقد أنزل الله تعالى فيهم أحكاما خاصة بهم سيأتى تفصيلها فيما بعد و منها :

١— منعهم من الخروج للقتال مع جيش المسلمين ، و فى ذلك تحقير لهم ، إذ جعلهم التخلف العمد من زمرة النساء ، و سلب عنهم خصائص الرجولة .

٢— نهى الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يصلى على أحدهم عند موته.

٣— و نهى الله تعالى كذلك رسوله عن أن يقوم على قبر أحدهم بعد دفنه .

أى أن الله تعالى نهى نبيه عليه الصلاة و السلام عن تكريم هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن القتال فى سبيل الله عمداً فى حياتهم و مماتهم .

و يستفاد من ذلك أنه لا يجوز للامام تكريم كل منافق يتخلف عن القتال فى سبيل الله عمداً لا فى حياته ولا فى مماته .

قصة الثلاثة الذين تخلفوا وتاب الله عليهم .

و قصة المؤمنين الصادقين الثلاثة الذين تخلفوا كسلا وبدون عذر من السير مع جيش الرسول ﷺ لغزو أعداء الاسلام والمسلمين والتى يستفاد منها أن للامام اجراء الاحكام التالية على كل متخلف كسلا عن القتال فى سبيل الله و هو قادر عليه بدون عذر :

نهى المسلمين عن التكلم معه ، و كذلك وجوب عزله عن ما نكح من نساء فلا يقربهن ؛ و ذلك إلى أجل معين إذا تاب و أظهر التوبة فى أقواله و أفعاله ، و كان صادق الايمان ، و لم تظهر عليه علامات النفاق التى بينها الله تعالى و رسوله ﷺ .

و قد روى قصة هؤلاء الثلاثة أحدهم وهو كعب بن مالك :

أخرج أحمد و البخارى و مسلم من طريق الزهرى ، قال : أخبرنى

عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى (غزوة تبوك) قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى تخلفت فى غزوة بدر ، و لم يعاتب أحد تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ و المسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد .

و لقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام ، و ما أحب أن لى بها مشهد بدر ، و أن كان بدر أذكر فى الناس منها وأشهر ، و كان خبرى حين تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتها فى تلك الغزوة ، و كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز واستقبل عدداً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم ، فاخبرهم بوجههم الذى يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان — أى سجلا تسجل به الأسماء .

قال كعب رضى الله عنه : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه ، مالم ينزل فيه وحى من الله عز وجل ، و غزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار ، و الظلال ، و أنا إليها أصغر ، فتجهز إليها رسول الله ﷺ و المسلمون معه ، و طفقت أغدو لكى اتجهز

معهم فارجع و لا أقضى شيئاً ، فأقول لنفسى أنا قادر على ذلك إن أردت ، فلم يزل ذلك يتهادى بى حتى استمر بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غاديا و المسلمون معه ، و لم أقض فى جهازى شيئاً ، فلم يزل يتهادى بى حتى أسرعوا و تفارط الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم ، و ليت أنى فعلت ، ثم لم يقدر لى ذلك ، فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزننى أنى لا أرى لى أسوة إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله ، و لم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال و هو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله حبسه برداه و النظر فى عطفيه .

فقال له معاذ بن جبل : بئسما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عنه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ توجه قافلا من تبوك حضرنى بثى فطفقت أتذكر الكذب ، و أقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ و استعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل أن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت أنى لم أنج منه بشئ أبداً ، فاجمعت صدقه ، و أصبح رسول الله ﷺ قادما ، و كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ، و يحلفون له ، و كانوا بضعاً و ثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، و وكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم

المنضب ثم قال لى « تعال » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى : « ما خلفك ؟ ألم تكن قد اشتريت ظهرك ؟ » فقلت يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا فرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عنى به ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك بحديث صدق تجد على فيه ، و أنى لأرجو فيه عقبى من الله ، والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، فقال ﷺ : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » فقمت و بادرنى رجال من بنى سلمة واتبعونى فقالوا لى : و الله ما علمناك كنت اذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المتخلفون ، فلقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله .

قال : فوالله مازالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فاكذب نفسى .

ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟

قالوا : نعم ، لقيه معك رجلان ، قالا ما قلت ، و قيل لهما مثل ما قيل لك .

فقلت : من هما ؟

قالوا : مرارة بن الربيع ، و هلال بن أمية الواقفى .

فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدراً لى فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لى .

قال : ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين

من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس — أو قال : تغيروا لنا — حين تنكرت لى نفسى فى الأرض ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا و قعدا فى بيوتهما ، و أما أنا فكنت أشد القوم و أجلدهم ، فكنت أخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين و أطوف بالأسواق فلا يكلمنى أحد ، و آتى رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، وأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه و أسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتى نظر إلى فاذا التفت نحوه أعرض عنى .

حتى إذا طال ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبى قتادة — وهو ابن عمى و أحب الناس إلى — فسلمت عليه ، فوالله ما رد على السلام .

فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك الله تعالى ، هل تعلم أنى أحب الله و رسوله ؟

قال : فسكت .

قال : فعدت فنشدته ، فسكت ، فعدت فنشدته .

قال : الله و رسوله أعلم .

ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

و بينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا بنبطى من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلنى على كعب بن مالك ؟

فطفق الناس يشيرون إلى حتى جاء فدفع إلى كتابا من ملك غسان ، و كنت كاتباً فقرأته فاذا فيه :

أما بعد، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، و لم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة فالحق بنا نواسك .

فقلت حين قرأتها، و هذه أيضاً من البلاء .

فتيممت بها التنور فسجرتها .

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذ برسول الله ﷺ يأتينى فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك .

فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟

قال : بل اعتزلها و لا تقربها .

و أرسل إلى صاحبى مثل ذلك .

فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ .

فقالت : يا رسول الله، إن هلالا شيخ ضائع، و ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا، ولكن لا يقربنك .

فقالت : إنه والله ما به من حركة إلى شئ، و والله ما زال يبكى من لدن أن كان منه أمرك ما كان إلى يومه هذا .

قال كعب بن مالك : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله ﷺ فى امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه .

فقلت : والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ، وما أدرى مايقول إذا استأذنته فيها و أنا رجل شاب .

قال : فلبثنا عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا

قال : ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله منا، قد ضاقت على نفسى، وضاقت على الأرض بما رحبت، سمعت صارخا أوفى على جبل (سلع) يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ! أبشر .

فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج، فآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبى مبشرون، و ركض إلى رجل فرساً، و سعى ساع من أسلم قبلى و أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس .

فلما جاء الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتها إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما، فاستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أؤم رسول الله ﷺ، يتلقانى الناس فوجا بعد فوج يهنؤنى بالتوبة، ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد، فاذا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد و حوله الناس .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ :

قال ﷺ و هو يبرق وجهه من السرور، « أبشر بخير يوم عليك منذ ولدتك أمك » .

قلت : أمن عندك يا رسول الله ؟ أم من عند الله ؟

قال : « لا، بل من عند الله » .

قال كعب بن مالك : وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، و كنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن انخلع من مالى صدقة إلى الله تعالى

و إلى رسوله

قال : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك .

فقلت : أنى أمسك سهمى الذى بخيبر .

و قلت : يا رسول الله ، إنما أنجانى الله بالصدق ، و إن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق فى الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ما أبلانى الله تعالى ، والله ما تعمدت كذبة منذ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا كذبا ، و أنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى ، و أنزل الله تعالى :

« لقد تاب الله على النبى و المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (سورة التوبة الآيات ١١٧ ١١٩) .

من سياسة النبوة

للدكتور سعيد رمضان

كان ذلك فى شهر رمضان من العام التاسع بعد الهجرة . . . وقد رجع رسول الله ﷺ من تبوك ، و تبوك هى الغزوة التى خرج فيها المسلمون يقصدون حرب الروم ، و كان خروجهم فى أيام صيف لاهب ، و حين طابت الثمار على جدب فى البلاد شديد ، و خالف رسول الله عن عادته فى كل غزوة إذ كان يعمد إلى التكنية تضليلا لأعدائه و حفاظاً على سرية وجهته و خطته ، فصرح أنه ذاهب إلى تبوك ، و فى هذا يقول ابن اسحاق : « إلا ما كان من غزوة تبوك ، فانه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، و أخبرهم أنه يريد الروم » .

رجع رسول الله ﷺ بجيش منهك زلزله ابتلاء الله أشد زلزال ، و تميز عنه المنافقون والمترددون و ضعاف النفوس ، و نزلت آيات القرآن تفضح نفاقهم و ترددهم و ضعفهم فضيحة البية خالدة :

« لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم والله عليم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ، و لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم و قيل اقعدوا مع القاعدين

لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ؛ ولا اوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة، و فيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين » .

و ألقى إليه وهو فى (ذى أوان) خبر المسجد الذى بناه نفر من المنافقين ليفرقوا به الجماعة المؤمنة ، و كانوا قد دعوا الرسول إلى الصلاة فيه قبل خروجه إلى تبوك ، و قالوا فى تبرير بناء مسجدهم : إنا قد بنيناه لذى العلة والحاجة و الليلة المطيرة الشاتية ، فأرجأ الرسول اجابتهم حتى يفرغ من المعركة ، فدعا - إذ بلغه الخبر فى ذى أوان - مالك بن الدخشم و معن بن عدى ، و قال لهما :

« انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فأهدماه و حرقاه ! »

فخرجا مسرعين ، و هدما المسجد و حرقاه .

و فى هذا المسجد و فى الذين بنوه نزل قول الله :

« و الذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً و تفريقاً بين المؤمنين و ارصادا لمن حارب الله و رسوله ، و ليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

و هكذا ألقى النبى القائد درسه الحازم فى تأديب النفاق المتألب على وحدة الجماعة ، و جعلها عبرة باقية للمسلمين فى كل زمان ، أن بناء المسجد واتخاذ مظاهر الاسلام لم يشفع لأهداء المؤمنين فى عين النبوة ، بل لقد اشتد غضبها عليهم بقدر ما اتخذوا من مظاهر ، واشتد عنفها فى تقويض هذه المظاهر ، ونزل القرآن يفضح خبثهم ويرد عليهم أيمانهم « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

ثم لم يلبث أن جاءه وفد من ثقيف يمثل ارهاط الطائف ، يريدون

البيعة و الاسلام ، على أن يشرط لهم الرسول شروطا ، ويكتب لهم كتاباً خاصا فى قومهم و بلادهم و أموالهم ، فلقيهم الرسول واستمع لهم ، وكان فيما سألوه كما روى ابن اسحاق : « أن يدع لهم الطاغية ، و هى اللات التى يعبدونها من دون الله ، وإلا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين » .

و حجتهم أنهم يكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلوا الاسلام ، فأبى رسول الله بذلك ، فما برحوا ينزلون المدة سنة سنة حتى جعلوها شهراً ، والرسول يصر على ابائه أن يسمى أجلا لهدمها و لو كان يوما واحداً ؛ ثم سألوه أن يعفيهم من الصلاة ، و ألا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال لهم : « أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه » .

ثم بعث الرسول أبا سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة فهدما اللات الطاغية ، و اختار عثمان بن أبى العاص أميراً عليهم رغم أنه كان أحدثهم سنا ، و كان فيما قاله عنه أبو بكر : « يا رسول الله ، انى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن »

و هنا نرى مرة أخرى استمرار الحزم فى سياسة النبوة : الحزم فى رفض كل مدة ترجئ هدم الطاغوت المعبود من دون الله . والحزم فى توكيد فرض الصلاة ، ثم نرى حزما من نوع آخر فى تحكيم « موازين الرسالة » فى اختيار عثمان بن أبى العاص أميراً على الطائف ، لأنه — على صغر سنه — كان أحرص قومه على التفقه فى الاسلام و تعلم القرآن .

إنه ربما بدا لمحترفى السياسة حين يطالعون هذا الجانب من السيرة ، أنه لم يكن ثم بأس فى إرجاء هدم اللات ، ما دامت ستهدم على كل حال ،

و ما دام فى ذلك مزيد من كسب عواطف أهل الطائف ، كما أنه لم يكن ثم بأس فى اعفائهم من الصلاة ، حتى يستمكن منهم الاسلام الذى لا يزالون به حديثى عهد ، أما اختيار الأمير فربما يرون فيه مغامرة تؤلب على الاسلام الجديد اعتبارات الوجاهة والسن فى اعضاء وفد ثقيف .

و لكن سياسة النبوة لا تصدر عن كل ذلك ، و إنما تصدر عن عقيدة حية مستعلنة لا تملك أن تداجى فى الحق ، و عن رسالة واضحة متكاملة لا يصلح لحملها إلا الذين تحكمهم أصولها حكما صارما لا تردد فيه و عبارات المرونة ، والمجاملة و المصانعة ، لا تجد لها مكانا فى هذه السياسة حين يتصل الأمر بعقيدة التوحيد التى تأبى أن يكون مع الله صنم يعبد أو طاغوت يتقى ، و ليس معنى ذلك أن داعية الله لا يمرن ولا يجامل . . . فها قد رأينا رسول الله يعفى وفد ثقيف من أن يكسروا الأوثان بأيديهم و يترسل معهم فى الخطاب و هم يفاوضون فى الأجل الذى أرادوه قبل كسرها ، ولكنه حين أعفاهم و حين ترسل معهم ظل حيث هو من عزمه على كسر الأوثان ، و على كسرها دون إرجاء .

و ثقيف التى جاء وفدها يبايع على الاسلام فى رمضان من العام التاسع بعد الهجرة ، هى ثقيف التى ردت رسول الله أقبح رد قبل الهجرة حين ذهب إليها يطلب النصرة بعد أن اشتد عليه أذى قريش و بلغ من سفاهة كبار رجالها إذ ذاك أن اغروا به السفهاء و العبيد والغلمان يسبونه و يصيحون به و يقذفونه بالحجارة ، حتى جأر إلى ربه بالشكوى : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، و قلة حيلتى ، و هوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، و أنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد

يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته امرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، و لكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، و صلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، و لا حول و لا قوة إلا بك » .

بل لقد بلغ من ظلمهم أنهم قتلوا عروة بن مسعود الذى لحق برسول الله فى منصرفه من الطائف و بايع على الاسلام ثم عاد إلى قومه يدعوهم إليه ، و هو عندهم ذو شرف و منزلة ، فأنكروه إذ اسلم واستقبلوه بالنبل والسهام حتى أردوه شهيداً كريماً .

ترى ، أكان يخطر على بال أصحاب رسول الله ﷺ يوم الطائف ، و هم القلة المستضعفون ، أن يوما سيأتى تختار فيه ثقيف وفداً من ارهاطها يسافر إلى رسول الله مبايعا على الاسلام ؟! .

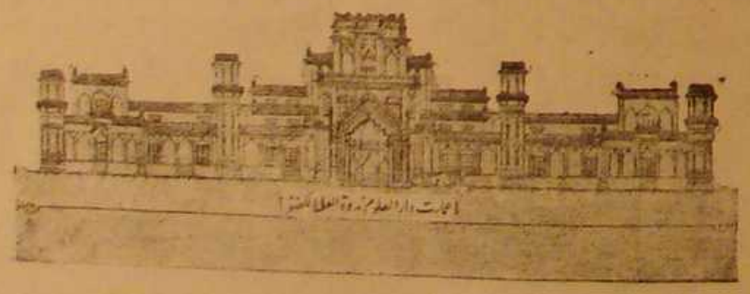

ربانية المسلم

للعالم الربانى الشيخ محمد يعقوب المجددى

لنقم دولة الاسلام فى نفوسنا أولا !

تقليد المشايخ :

قال إن أكثر الناس فى الزمن الأخير ، غلوا فى تقليد المشايخ و أفرطوا فيه ، و ظنوا تقليدهم غاية بذاتها و حسبوا طاعتهم طاعة مطلقة عامة مع أن الأصل هو اتباع الله و رسوله وإنما المشايخ وسائط إليه ، حتى قال بعض الشعراء ما معناه : « نأخذ تراب أقدامهم فنبنى فيه كعبة ثانية مستقلة .

إن مثل هذا التقليد و الاتباع يتجلى فى الصلاة ، فان المأموم يتبع الامام فى كل شئ فيركع مع ركوعه ويسجد مع سجوده و يحاكيه فى كل صغير وكبير ، ولكن إذا سها الامام فى شئ ينبهه بقوله « الله أكبر أو سبحان الله » إن هذه الكلمة فى الواقع هى نوع من الاختزال والاختصار وهى تحتوى على معنى كبير ، فانظر كيف أصبح المقتدى بفضل هذه الكلمة إماماً يدله على طريق الحق والصواب و ينبهه على هذا الخطأ ، وهكذا نحن لا نتبع المشايخ إلا لأنهم تأسوا بأسوة الرسول ﷺ واتبعوه باحسان واتقان فاتباعهم — أصلا — اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام .

العبودية أعلى المقامات :

قال إن العبودية و نكران الذات من أعلى المقامات ، فقد قال الامام الربانى الشيخ أحمد السرهندى : « إن الذين

ظهرت على أيديهم الخوارق و الكرامات يتمنون غداً بعد وفاتهم يا ليتها لم تكن » وقد أوصى العارف الكبير الشيخ خواجكى (من رجال القرن العاشر الهجرى) أن يكتب على قبره بيتان جاء فيهما :

« اكتبوا على قبرى أيها الاخوة بيتين إذا مت ، لقد دفن الخواجكى تحت الثرى ، و لا عزاء ، فقد تطهر العالم من بعض الأوساخ » .

إذا تضخم الجسم تضاءل الحس :

قال : إذا تضخم الجسم و طغى تضاءل الحس وانزوى ، إن الرجل أكثر مادة و ثقلا و لكنها أقل حساً و تألماً ، و لا تتأذى كثيراً و لو مشت على القمامات والمزابل ، أما العين فهى لا تتحمل أى قذى أو أذى ، وهكذا الروح — التى لم تتلوث بالجسم مطلقاً — فهى مرهفة الحس تماما فكلما ازدادت الروحانية ازداد الحس .

القوى الأربع :

قال جاء فى كتب الطب أن فى الانسان أربع قوى : ١— القوة الجاذبة ٢— القوة الماسكة ٣— القوة الهاضمة ٤— القوة الدافعة .

أما القوة الجاذبة فوظيفتها إيجاد شهوة الأكل و صلاحية الهضم ، و قبول ما تناله المعدة من الطعام و الشراب فهنا نوع من الناس حرموا هذه القوة بتاتا و ذلك ما عبر عنه القرآن « سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » و هنا نوع آخر من الناس يملكون القوة الماسكة ، إنهم يقبلون النصح ولكن لا يستطيعون أن يمسكوه و يحافظوا عليه إنهم يتأثرون بالبيئة الصالحة ، و لكن يتجردون عنها كلما غادروا هذه البيئة و ينقلبون على أعقابهم .

رأيت شيخاً فى حفل دينى قد غلبه البكاء ووقعت الموعظة من قلبه

كل موقع فأخذنى الغبطة و ظننت أن هذه الحالة ستدوم و ما أن انتهى الحفل حتى انصرف من مكانه و أراد أن يدخن السيجارة و سمعته يقول لصاحبه هل عندك كبريت ؟ و رجع كأن لم يسمع شيئاً و لم يبك أبداً .

أما القوة الهاضمة فوظيفتها أن تمسك بالغذاء و تجعله قابلا للهضم ، و تعمل بما علم ، و قد سمعت أن مؤذنا قال لثرى فى الحارة ، إنى أوذن منذ زمن طويل باستمرار ، و لكن الناس لا يأتون إلى المسجد ، فقال أنا آخذ بهم إلى المسجد ، فخرج مسرعا و ظل ينتقل من دار إلى دار يحث الناس على الصلاة ، فحضر المسجد فى ذلك الوقت عدد لا بأس به من أهل الحارة ، و أراد هو أن ينصرف فقال المؤذن أين تريد ؟ ألا تصلى معنا ؟ قال إنى جئت بهذا العدد الكبير من المصلين ، و لا تزال تمسكنى للصلاة ؟ .

أما القوة الدافعة فوظيفتها دفع الأجزاء غير الصالحة و الانكار من قبول الأشياء الضارة فان الانسان قد يتزكى أو يتطهر من الرذائل مثل الحسد والغضب والطمع وحب الدنيا ولكنه مع ذلك لا يتمالك نفسه ولا يستطيع قهر بعض النزوات والرغبات التى تنافى أخلاقه و سيرته ، وينساق مع التيار .

لقد كان هناك فى بلاط عالمكير ملك الهند رجل صالح قد بايع شيخاً فكان يثنى عليه عند الملك و يتمنى لو تفضل الملك بالحضور عنده ، وكان الملك يماطل و لكن حدثت له نفسه مرة أن يزور هذا الشيخ فقال إنى زائر شيخك فى يوم كذا ، و طلب كبير الشرطة و أسر إليه شيئاً ثم حضر فى مجلس الشيخ و قد استرسل الشيخ فى حقائقه و معارفه

و فاضت قريحته ، فبينما هو كذلك إذ جاء كبير الشرطة و أنبأ الملك بأن أفغانياً دخل فى حارة الحائكين فوقع بينه و بينهم شجار فضرب الحائكون ذلك الأفغانى و كادوا يقتلونه وكان الشيخ أفغانيا فخرج من طوره ونسى معارفه و حقائقه ، و قال ساخطاً لو كان أفغانيا بحق لما غلب عليه هؤلاء الحائكون » و كان السبب فى ذلك أنه لم تكن عنده قوة دافعة فاستشاط غضبا بهذا الشئ البسيط و لم يستطع أن يقاوم نزوة النفس وسورتها .

مثل الذاكر و العامل ؛

قال شكى مرة بعض الذاكرين والمشتغلين إلى شيخهم و قالوا : لقد مر عليهم مدة طويلة و هم يذكرون الله ولكن لم يتوصلوا إلى مقصودهم بعد ، و لم يشعروا بشئ يجدر بالذكر ، فأجاب هل تشعرون بالوساوس و الأوهام عند الذكر ؟ قالوا نعم ! قال فاحمدوا الله فان تلك الوساوس هى بنفسها آثار الذكر ، ألا ترى أنك تحفر بئراً فيخرج منها أولا الطين أو الحجارة ثم يتبعهما الماء ، أما النبى عليه الصلاة والسلام فأمره غير أمر الآخرين إذ أنه أخذ بيد الصحابة رضى الله عنهم ووقف بهم حالا على حوض فائض متدفق وما احتاجوا إلى حفر وتعميق و نالوا غايتهم المنشودة ودرتهم الفريدة فى أقرب وقت .

لنقم دولة الاسلام فى نفوسنا أولا !

قال : إن الحاجة الأولى هى تصحيح الأخلاق والسيرة وكبح جماح النفس و تقويم المعاملات ، فما دامت النفس تتحكم فى رقابنا لا تجد الطاعة و الايثار و التضحية فينا مكانا و إذا لم تقم دولة الاسلام فى نفوسنا لا نستطيع أن نقيمها فى خارجنا ولذلك إذا أردنا أن نطبق التشريع الاسلامى قبل صلاح النفس و صلاح الأخلاق ، نشبت فتن وثورات ، و تعدى

الناس الحدود .

ثم حكى الشيخ قصة رحلته إلى باكستان أثر قيام هذه الدولة المسلمة قال : ألح على بعض أقاربى أن أزور باكستان إثر قيام هذه الدولة بأيام فسافرت فبينما أنا أصلى فى مسجد «موتى» فى «تندوسائين داد» من مدن باكستان ، إذ لمحنى صديقى هاشم جان فعانقنى بحرارة و قال لقد جئت على ميعاد ، إن هناك اجتماعا للشيوخ والسادة فينبغى أن تشارك فى هذا الاجتماع و ستظفر بهذه المناسبة بزيارة عدد كبير من المشايخ ، فاعتذرت ولكنه لم يقبل عذرى ، فحضرت الحفلة و رأيت جمعاً كبيراً من المشايخ ، و هنالك قدم قرار يطالب حكومة باكستان بأن تنفذ الحدود الشرعية و تطبق القانون الجنائى الاسلامى فتقطع يد السارق و تفعل كذا و كذا ، فقمت و قلت إنى أخاف أن يرتد كثير من أفراد الطبقة الفجة عن الاسلام إذا رأوا مثل هذه العقوبات ، و يقولوا على مثل هذا الاسلام السلام ، إنما المهم هى تربية الشعب وتصحيح الأخلاق والسيرة مع إجراء الأحكام الشرعية و تنفيذ حدودها جنباً إلى جنب .

الفقه الإسلامى

بدوى

تعريب : محمد أجل أيوب

الشريعة الاسلامية لا تسمح بالقوانين الوضعية

فضيلة الشيخ منت الله الرحمانى

أمير الشريعة لولايتى « بهار » و « أريسه » فى الهند

إن الكتاب والسنة لا يسمحان لأى مسلم — مهما كانت مقتضيات العلمانية و القومية المتحدة — بالانحراف عن الشريعة الاسلامية الكاملة الشاملة العادلة السمحة ، و اتباع القوانين الوضعية المختلقة المصطنعة التى لا تستند إلى مصدر من مصادر الشريعة الاسلامية ، و لا أدرى كيف يسوغ للذين يصرخون من أعماق محاجرهم بحرية الفكر و العقيدة و حرية القلب و اللسان ، و حرية الدين و الثقافة ، و حرية الشارة والشعار ، والاحتفاظ بالخط واللغة أن يحطموا التعاليم الدينية و العقائد والأحكام ، و يطمسوا معالم اللغات والثقافات والحضارات .

أما أنه هل يجوز تعديل فى الأحكام الشرعيـــة لما تقتضيه الظروف المتجددة ، و التطورات السياسية والاجتماعية الحديثة ، و الميول والاتجاهات المعاصرة ، و ما هو منهج ذلك التعديل ؟ فأول ما لابد من معرفته فى هذا الصدد أن كل منهج يصطدم مع مبادئ الشريعة الاسلامية و يعارض أسسها و مقوماتها ويعدل عن حدود الكتاب والسنة فهو منهج جائر غير مستقيم ، لا ينتهى بسالكه إلا إلى غى و فساد و زيغ و ضلال ، و ظلمات بعضها فوق بعض .

و قد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى للرأى ثلاثة أقسام :

« رأى باطل بلا ريب ، رأى صحيح ، و رأى هو موضع الاشتباه »

ثم قسم الرأى الباطل إلى عدة أقسام فقال : « أحدها الرأى المخالف للنص و هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فساده و بطلانه ، ولا تحل الفتيا به و لا القضاء و إن وقع فيه من وقع بنوع تأويل و تقليد » و كذلك بعد شرح وجوه أخرى للرأى الباطل كشف عن سبب أساسى لتسرب الفساد إلى العالم ، و هو تقديم الرأى على الوحى ، و الهوى على العقل فقال :

« و كل من له مسكة عن عقل يعلم أن فساد العـالم و خرابه إنما نشأ من تقديم الرأى على الوحى والهوى على العقل » ثم قال : إن الأمر إذا كان كذلك فيؤثر الرأى على الوحى ويقدم الهوى على العقل فلابد أن يحتل الباطل محل الحق والفساد محل الصلاح ، و الخير محل الشر والرشد محل الغى ، والهدى محل الضلال ، « وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان فى قلب إلا استحكم هلاكه ، و فى أمة إلا فسد أمرها أتم فساد ، فلا إله إلا الله ، كم نفى بهذه الآراء من حق و أثبت بها من باطل ، و أميت بها من هدى و أحيى بها من ضلالة و كم هدم بها من معقل الايمان وعمر بها من دين الشيطان » (١) .

فاتخاذ منهج جديد متحرر من نصوص الشريعة مستغنيا عن مبادئها و أصولها يهدد الدين و غايته و أهدافه ، و إن باب الانخلاع من أحكام الشريعة و الحيد عنها ليتفتح على مصراعيه .

---

(١) اعلام الموقعين ج ١ ص ٦٧ و ٦٨ .

على كل حال ، فان ذلك لخطأ عظيم جداً كما أن صرف النظر عن متطلبات الزمان والاتجاهات العصرية و تغير الظروف و تجدد الضرورات خطأ لا يقل عن الأول ، لأن الشريعة الاسلامية إذا لم تستطع مسايرة الظروف المتجددة و تلبية حاجات الانسان المتنوعة المتزايدة ، و لم يستطع علماء الاسلام أن يعالجوا هذه القضايا و المشكلات و آثروا سبيل الجمود و الركود فى فروع الفقه ، فان ذلك يحدث اتجاها معاكساً يبعد الناس عن الاسلام و يقطع صلتهم عن الفقه الاسلامى .

فالمنهج الصحيح الأفضل عندى فى هذه الظروف أن تنعم النظر فى أسرار الشريعة و أحكامها و روحها و غايتها ، و نعالج القضايا الناجمة من تطور الزمن فى ضوء الأصول و الكليات و الأشباه والنظائر ، و هذا هو المنهج الذى جرى عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن بعدهم من العلماء الراسخين فى العلم فى كل عصر .

جاء فى أحوال سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه إذا وردت عليه مسألة نظر أولا فى كتاب الله ، ثم فى سنة نبيه ﷺ فان لم يجد فيهما ما يقضى به جمع فقهاء الصحابة فاستشارهم و قضى بما اجتمع عليه رأيهم ، » قال أبو عبيد فى كتاب القضاء : حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه إذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى فان وجد فيه ما يقضى به قضى به و إن لم يجد فى كتاب الله نظر فى سنة رسول الله ﷺ فان وجد فيها ما يقضى به قضى به فان أعياه ذلك سأل الناس : هل علتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه

بكذا وكذا ، فان لم يجد سنة سنها النبى ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به . (١) .

و كذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينهج منهج أبى بكر و يحذو حذوه بعد النظر فى كتاب الله و سنة النبى ﷺ و قضايا أبى بكر رضى الله عنه : » وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك فاذا أعياه أن يجد فى الكتاب والسنة سأل : هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء ؟ فان كان لأبى بكر قضاء قضى به و إلا جمع علماء الناس و استشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به » (٢) .

و هذا عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل الذى يمتاز بعلو كعبه وطول باعه فى الفقه الدينى ، فلندع الراوى يحك رأيه و منهجه : » وقال أبو عبيد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة عن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال : أكثروا عليه ذات يوم فقال : أتى علينا زمان و لسنا نقضى و لسنا هناك ثم إن الله تعالى بلغنا ما ترون فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما فى كتاب الله ، فان جاءه أمر ليس فى كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون ، فان جاءه أمر ليس فى كتاب الله و لا قضى به نبيه ﷺ و لا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه . (٣)

فههنا أربع درجات : كتاب الله ثم سنة النبى ﷺ ثم قضايا الصالحين و الدرجة الأخيرة درجة الاجتهاد ، و هكذا روى عن مفسر

(١) اعلام الموقعين ص ٦٢ . (٢) نفس المصدر ص ٦٢ ج ١
(٣) نفس المصدر

اقتصادنا في ضوء الإسلام

القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فذكر سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد قال : « سمعت ابن عباس رضى الله عنهما إذا سئل عن شئ فان كان فى كتاب الله قال به وإن لم يكن فى كتاب الله وكان عن رسول الله ﷺ قال به ، فان لم يكن فى كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ وكان عن أبى بكر و عمر رضى الله عنهما قال به فان لم يكن فى كتاب الله و لا عن رسول الله ﷺ ولا عن أبى بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما اجتهد رأيه . (١)

و قد أشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى طرق الاجتهاد فى الكتاب الذى كتبه إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فقال : «الفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك مما لم يبلغك فى الكتاب والسنة ، اعرف الأمثال و الأشباه ثم قس الأمور عندك فاعمد إلى أحبها إلى الله و أشبهها بالحق فيما ترى (٢)

فبين عمر رضى الله عنه منهجاً واضحاً ليختاره العلماء والفقهاء فى معالجة ما يرد عليهم من القضايا المتجددة فى كل عصر ، وهو أن ينعم النظر فى النظائر المنصوصة المنقولة للاحكام فى مختلف المسائل و القضايا ليقاس غير المنصوص على المنصوص مع رعاية الفروق الدقيقة بين تلك النظائر لكيلا يقع اللبس ، و أرشد إلى هذا الأصل الذى لابد أن يضعوه نصب أعينهم و هو أن لا يتغافل أبداً عن مقاصد الشريعة و روح أحكامها فى استنباط الأحكام للقضايا المستحدثة لئلا تفوت تلك الحكم و المصالح الشرعية التى راعاها الشارع فى تشريع القوانين والأحكام .

(١) اعلام الموقعين ص ٦٣ ج ١ (٢) الأشباه والنظائر للسيوطى ص ٦ .

المشكلات الاقتصادية فى العالم الاسلامى
وطرق التخلص منها

للاستاذ انعام الله خان
الأمين العام لمؤتمر العالم الاسلامى للشئون الثقافية

إن مشكلات العالم الاسلامى الاقتصادية كثيرة و منها ما هى سهلة ومنها ما هى معقدة ، و منها ما هى داخلية ومنها ما هى خارجية ، وبعضها مما كسبتها أيدينا و البعض الآخر من صنع الاستعمار الخارجى ، إن من أهم الأسباب لمشاكلنا الداخلية هى طرقنا القديمة البدائيـــة و تقدمنا البطيئى المتأخر فضلا عن العقول المتحجرة التى تقاوم أى تبديل فلنأخذ الزراعة على سبيل المثال فنجد أن استعمال الطرق العتيقة رغم وجود الطرق الحديثة التى تستطيع مضاعفة الانتاج كما هى الحالة الآن فى اليابان حيث إن حقول الرز تنتج ثلاثة أضعاف ما تنتجه حقولنا لنفس المساحة فما الذى يمنعنا من تحسين نوعية البذور المستعملة و ما الذى يمنعنا من تحسين نسل حيواناتنا ، و ما الذى يمنعنا من استخدام الطرق الحديثة فى زراعتنا ؟ وما الذى يمنعنا من استعمال المخصبات ؟ و ما الذى يمنعنا من استخدام الغازات الطبيعية و الغازات التى تنتجها شركات النفط لانتاج السماد و المخصبات لأراضينا .

ولما كان من غير المتوقع أن تتوسع أراضينا بالرغم من ازدياد النفوس فلابد من تحسين طرق استغلال أراضينا فهناك مشاكل زراعيـــة

كثيرة تختلف من منطقة إلى أخرى ، فالمشكلة قد تكون من كثرة الماء أو ارتفاع مستوى الأرض أو الملوحة أو قلة الماء ولابد من إيجاد الحلول اللازمة لهذه المشاكل لأن الفرار من المشاكل ليس بحلها .

إن فى كثير من البلدان الاسلامية لا يوجد إلا القليل من التخطيط مع أن هـذا العصر هو عصر التخطيط فان التخطيط الاقتصادى هو الذى جعل روسيا فى مقدمة الدول الصناعية بعد أن كانت دولة زراعية متأخرة قبل ما لا يزيد على خمسين عاما ، و لقد كان التخطيط الصناعى فى ألمانيا الغربية و اليابان — و هما الدولتان اللتان تحطمتا فى الحرب الأخيرة — سبب وصولهما إلى أعلى مراتب التقدم الاقتصادى بحيث إنهما يقدمان المساعدات إلى البلدان التى فى طريقها إلى التقدم و من ضمنها بعض البلدان الاسلامية .

ولا يقصر تأثير التخطيط الصناعى على زيادة الانتاج فقط بل أيضاً يلعب دوراً هاماً فى تحسين نوعيتـــه ، فمع وفرة البحار الغنية بالأسماك فى البلدان الاسلامية فان صيد الأسماك لا يزيد عندنا على ٥ فى المأة من مجموع صيد السمك فى العالم إذ أن التركيز على صيد الأسماك لا يزيد فى كمية البروتين عندنا فحسب بل أيضاً يساعدنا على الحصول على العملة الأجنبية التى نحن بأمس الحاجة إليها ولكن سبب قلة الصيد قد يعود إلى قلة سفن صيد الأسماك التى تلائم الصيد فى البحار العميقة أو قـــد يعود إلى عدم وجود الأجهزة الحديثة بما فيهـا من أجهزة التبريد الخاصة بحفظ المواد الغذائية مما يحول دونها الاستفادة الكلية من هذه التجارة المثمرة و هناك أراضى واسعة صالحة لزراعة القطن فى السودان و صوماليا و السنغال

و غيرها ، و لكنها متروكة دون زرع فاذا كانت قلة الأيدى العاملة سبباً لترك هذه الأراضى فلما ذا و نحن الاخوة فى الاسلام لا نستورد العمال الفنيين و غير الفنيين من البلدان الاسلامية المكتظة بالسكان بصورة دائمة ليعملوا فيها أو على الأقل لمدة طويلة معينة ، و هناك نقطة أخرى لابد و أن نأخذها بعين الاعتبار و هى أن أراضى كثيرة فى مختلف بقاع العالم الاسلامى التى لم تزرع إلى الآن ، فلماذا لا نستطيع أن نكون جمعيات تعاونية لتقوم بمساعدة الفلاحين و تسهيل أمورهم بتوزيع الحبوب الجيدة والآلات الحديثة وتحسين نسل حيواناتهم ومساعدتهم فى صرف الحاصلات التى يحتكرها القلة من الأغنياء باستغلالهم فقر الفلاحين واشترائهم الحاصلات قبل الحصاد بثمن بخس ؟ فان مثل هذا الاستغلال ليقطع نياط القلب ويقطع الأمل و يعطى الفرصة للتغلغل الشيوعى فى القلوب الساذجة ، ولقد شعرت إسرائيل المكارة بأهمية الجمعيات التعاونية فبدأت بتأسيس جمعيات و محلات تعاونية لمختلف فروع الحياة فى إفريقيا و خاصة فى شرق إفريقيا فانها بعد كارثة العقبة استطاعت بواسطة هذه الجمعيات من تثبيت أقدامها فى شرق إفريقيا و بدأت ببناء المؤسسات اللازمة لتدريب سكان البلاد فى مختلف نواحى الحيـــاة الاقتصادية و الفنية و الادارية و الحق أن التغلغل الاسرائيلى فى إفريقيا يعتبر تحديا لجميع الحكومات الاسلامية فى العالم فان إفريقيا هى القارة الوحيدة التى يمكن أن تسمى قارة إسلاميـة لأن هناك ما لا يقل عن ١٥٠ مليون من المسلمين من مجموع ٢٥٠ مليون و إن من مجموع ٣٦ دولة مستقلة هناك ٢٣ دولة معظم سكانها من المسلمين ولو أن بعض رؤساء هذه الدول هم من غير المسلمين .

و من بين المشاكل الداخلية الحساسة هى قلة المبالغ اللازمة لانعاش اقتصادنا من الناحية الزراعية و التجارية و الصناعية و إن توفرت الأموال فى بعض الأماكن فهناك مشكلة قلة الأيدى العاملة الفنية التى يمكن بواسطتها إدارة هذه الأمور فبلادنا بحاجة ماسة إلى كليات زراعية و فنية و مراكز التدريب وغيرها لأن تخريج الشبان من الكليات فى المواضيع النظرية المحضة ليس بكاف فاننا نحتاج إلى جماعة يدربون فى مختلف الفروع العملية ليتسنى لهم إدارة المصانع المختلفة ويحلوا محل الخبراء الأجانب الذين لا يأتون إلى بلداننا حباً فينا بل للحصول على أكبر كمية من النقود وخدمة مصالح بلدانهم بالاضافة إلى استكبارهم على أبناء شعبنا الكرماء .

ليس هناك فى كثير من البلدان الاسلامية إحصائيات دقيقة للتعرف على ثروات بلداننا ففى كثير من الأحيان لا نعرف إلا القليل من ثرواتنا الزراعية و الحيوانية و المعدنية والأيدى العاملة و خاصة من ناحية التعرف على إمكانياتهم فمن الضرورى جداً أن نعمل الاحصائيات العلمية للتعرف على خامات بلادنا لنستطيع الأخذ بأيدى امتنا إلى طريق التقدم والحضارة إن القوات الأجنبية الكبيرة سواء فى الشرق أم فى الغرب لتعلم جيداً مناطق الضعف و التخلف فى بلداننا فيأتون بمناهج مدروسة للمساعدات و التسليف و يضعونها فى قالب جذاب تظاهرا فى حبهم لنا غير أن هذه المساعدات والتسليف من الأجنبى يجب أن يتجنب بقدر الامكان ويجب أن يحل محلها التجارة بين الدول الاسلامية الشقيقة و المحاولة الدائمة لتحقيق مشاريعنا الاقتصادية و إنجازها بثرواتنا الداخلية و إذا تعذر وجود هذه الثروة فى داخل البلاد فيجب أن نحاول الأخذ من البلدان الاسلامية الأخرى التى

تستطيع المساعدة ، فبواسطة التخطيط القومى والمحلى والدولى يجب أن نوسع تعاوننا الاقتصادى حتى نستطيع إنماء مشاريعنا الاقتصادية لفائدة الجميع .

إن دولة الكويت مع صغر مساحتهـــا تملك موارد كثيرة و تقوم بخطوات جبارة لمساعدة البلدان العربية الأخرى وحبذا لو استطاعت الكويت والمملكة العربية السعودية والبلدان الاسلامية الأخرى التعاون لتأسيس جمعية تعاونية دولية للتمويل والبناء الحضارى و بهذا تستطيع هذه المؤسسة تمويل الصناعات الرئيسية والثقيلة لصالح جميع البلدان الاسلامية وليست المحاولات الحديثة بين باكستان وإيران و تركيا (وقد تدخل اندونيسيا فيها كذلك) فى الشرق و بين ليبيا و تونس و الجزائر و مراكش فى المغرب ، و بين البلدان العربية للتعاون إلا علامات للتضامن الاسلامى و لا يسعنا إلا أن نبتهل إلى الله تعالى و ندعوه لتثبيت هذه الفكرة فى المناطق الأخرى وأن يوفق جميع شعوب العالم الاسلامى أن تتعاون فيما بينها لتكوين سوق العالم الاسلامى المشترك ، و مما لا شك فيه أن هذا السوق سوف يساعد كثيراً فى ملء الفراغ الكبير فى مجال التقدم الاقتصادى فى البلدان الاسلامية .

إن معظم صادرات بلداننا تتكون من المواد الخام والمواد التى لم يكتمل صنعها و تبعث إلى البلدان المتقدمة فى الصناعة بأسعار زهيدة تفرضها علينا بحكم تنظيمها و استهلاكها ولا نستطيع رفع هذه الأسعـــار و تثبيتها إلا بالضغط المشترك من البلدان الاسلامية كما و أن التجارة المتبادلة بين الدول الاسلامية سوف تخفف من اعتمادنا على الآخرين ولكن لكل هذه الأمور تحتاج إلى تخطيط منظم و دراسة دقيقة وتأسيس لجنة التخطيط الاقتصادى العام لتنظيم المشاريع المتعددة فى مختلف البلدان الاسلامية ، تدريب الأيدى

العاملة لتسلم المسؤوليات فيها و أن تقوم البلدان الأكثر غناء لتمويل هذه المشاريع على أسس متساهلة و معقولة فبواسطة التضامن الاقتصادى نستطيع أن نتخلص من شبكة هؤلاء المستعمرين الذين لمشعروا بانتهاء فترة الاستعمار السياسى اتجهوا نحوالسيطرة الاقتصادية على هذه البلدان، ولانستطيع الخلاص من السيطرة الأجنبية إلا إذا استطعنا بناء اقتصاد علىأساس التعاون المتبادل بين بلداننا وتجنب التأثير والتدخل الخارجى بقدرالامكان ، إن وضع العمال والفلاحين والصيادين يستحق العناية الكبيرة ولابد من تحسينه من قبل الحكومات ، إنه من الضرورى تثبيت أسس العدالة الاجتماعية لهم وتنظيم أمورهم حتى لايكونوا فريسة فى يد الاستغلال إذ أن الوضع المنحط للعمال فى بعض البلدان الاسلامية لا بد أن يعالج على ضوء العدالة الاجتماعية فى الاسلام لمصلحة الاستقرار العام للأمة أجمع ، من واجب على البلدان الاسلامية أن يعملوا تدريجياً لبناء اقتصاد أساسه الاعتماد على النفس و فى نفس الوقت يساعدوا البلدان الاسلامية الأخرى فى هذا الطريق و يوثقوا العلاقات التجارية و يسهلوا أمورها وعليهم تأسيس مصرف القرض الحسن للعالم الاسلامى وعلى البلدان الاسلامية التعاون مع شركات الملاحة للمسافرين و البضائع التى تعود إلى البلدان الاسلامية و كذلك فى تبديل النقود بين هذه البلدان ومن الضرورى أيضاً التفكير فى تأسيس منظمة للعملة الاسلامية و الأهم من ذلك هو الاتفاق علىالدفع المشترك للتجارة الأجنبية عند عدم استطاعة بعض الدول الاسلامية تبديل عملاتها بالعملات الأجنبية و أخيراً بث الدعاية لهذه الأفكار وتشجيعها عند المسئولين ، وعلى البلدان الاسلامية تكوين مؤسسات إقتصادية تقوم بتبادل المعلوت الاقتصادية بين البلدانالاسلامية .

تعريب : الأخ نور عالم الأمينى

مبادىء النظام المالى فى الاسلام

فضيلة الشيخ محمـــد ميان
شيخ الحديث بالمدرسة الأمينية بدهلى

كل دارس للقرآن الكريم و كتب السيرة الطاهرة يقضى من عجبه حينما ينظر فى السور و الآيات التى نزلت فى مستهل النبوة ، وابتدأت بها دعوة الاسلام فان هـــذه الآيات كما تعلم الانسان التوحيد ، و عبادة الله وحده ، و الصلاة لوجهه تعالى و يكره إليه الاشراك بالله ، كذلك تأمر الانسان - بكل قوة - بالانفاق فى سبيل الله وتنفره من الرأسمالية الطاغية ومن اكتناز الثروة العاتية .

١ــ لقـــد نزلت سورة المزمل فى فجر النبوة و نزل الجزء الأول منها فى العام الأول ، ولقن الله فيه سهر الليالى ، و وصى بمقاومة الفرعونية بأوسع معانيها ، و نزل الجـــزء الثانى فى العام الثـانى ، و هو ينتهى بالأحكام التالية : « وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، و أقرضوا الله قرضاً حسناً ، و ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدو عند الله هو خيراً و أعظم أجراً II و استغفروا الله إن غفور رحيم » (١) .

والجدير بالذكر أن هذه الآية تتضمن فى عبادة الله على أمر واحد فحسب بينما هى تشتمل فى الثروة وما يتعلق بها على أمرين « آتوا الزكاة و أقرضوا الله قرضاً حسناً » .

(١) سورة المزمل الآية ٢٠ .

٢ــ و قد نزل قبل هذه السورة سورة العلق السورة التى ابتدأ بآياتها الأولى الوحى ، و تلك هى اللحظة السعيدة التى أكرم الله فيهـــا محمد بن عبد الله - عليه الصلاة و السلام - بالنبوة .. ونزل الجزء الثانى منها بعـــد فترة و فقرته الأخيرة : « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » (١) .

٣ــ و سورة المـــدثر أول سورة أمر الله فيهـا النبى - ﷺ - بالدعوة والتبليغ ، أما فقرته الأخيرة فكما فيها « ربك فكبر » كذلك فيها « و لا تمنن تستكثر » (٢) .

٤ــ من السور التى نزلت بمكة المكرمـة سورة « البلد » أيضاً ، و إليك آيات عديدة منها فانظر كيف تزخر بأمر الانفاق فى سبيل الخير و الطاعة : « أيحسب أن لم يره أحـــد ؟ ألم نجعل له عينين ، و لساناً و شفتين ، و هديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة ، أو إطعـام فى يوم ذى مسغبـة ، يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة » .

معناه أنه يجب على الانسان أن ينفق على جميع أولى الحـاجات ، سواء كانوا أقرباءه أو غيرهم شكراً لله على نعمتى البصارة و النطق .

٥ــ و سورة «الهمزة» نزلت كذلك فى هذا العهد بمكة المكرمة .. وهذه السورة كلهـا تزأر فى وجه الرأسمـالية زئيراً ينقطع نظيره فى جميع مؤلفات الثائرين المتحمسين :

« ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا و عدده ، يحسب أن

(١) سورة العلق ؛ الآية ٦ - ٧ . (٢) سورة المدثر الآية ٣ و ٦ .

ماله أخلده ، كلا ! لينبذن فى الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله المؤقدة ، التى تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصدة فى عمد ممدة » .

إن فى الآية التى مرت فى هذه السورة عن الأموال كلمتين : « الزكاة » و « القرض » و الزكاة لها قدر محدود ، لا يجب أداؤه إلا على تمام الحول ، إذا كان عند أحد من المسلمين أموال تفضل عن حاجاته فيخرج الجزء الأربعين مما عنده ، ويدفعه إلى ذى حاجة تتوفر فيه شروط أخذ الزكاة ، فلا يكون هو ذا نصاب ولا يكون قريباً له - عليه نفقته - و لا يكون كافراً ، و لا سيداً ، و ما إلى غير ذلك .

و لكن هذا التفصيل لم ينزل عليه - ﷺ - إلا بعد ١٥ عاماً ، و قد هاجر إلى المدينة المنورة . . و هناك كذلك لم يعرف هذا التفصيل إلى سنتين كاملتين ، أما قبل ذلك فلم يكن الفرق بين الزكاة و القرض ، إلا أن الزكاة كان فيها من الضرورى أن يتملكها أحد من الفقراء بلاعوض. ولم يكن هذا كالشرط فى الثانى، مثلا إذ اشترى أحد عبداً للاعتاق ، ففيه و إن كان يوجد التمليك - حيث إن البائع تملك المبلغ ، و لكن لم يكن هذا بلا عوض - فلا ينفق فيه مبلغ الزكاة - و مثلا - قد اشترى عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بئراً فى المدينة المنورة ، كانت ليهودى ، لا يسمح بمائها لأحد بلا عوض ، و جعلها وقفاً لله تعالى ، فهذه و إن سدت بها حاجة أساسية للمسلمين ، حيث استطاع كل شخص أن يتمتع بمائها حسب الحاجة بلا قيد من القيود ، و لكن إذ لم يكن الغرض منها تمليك رجل من المسلمين ، فلم يكن يسوغ أن ينفق فيها مبلغ من أموال الزكاة ، لذا أنفق فيها عثمان بن عفان - رضى الله عنه - من حسابه

الخاص ، و كان هذا قرضاً لله سبحانه و تعالى .

ونظر إلى وقت نزول هذه الآية فى معناها ماصرح به الله فى الآية الثانية « و يسألونك ماذا ينفقون ، قل : العفو » (١) .

إن هذه الآية فى سورة البقرة و إن نزلت متأخرة ، و لكن حياة رسول الله - ﷺ - و حياة أصحابه - رضوان الله عليهم - بمكة المكرمة ، تدلان دلالة واضحة على عملهم فى مكة المكرمة دائماً بمضمون هذه الآية الكريمة .

و هنا بعض رجال التفسير يرون أن آية سورة المزمل التى تأمر بأداء الزكاة نزلت بالمدينة المنورة ، و الصحيح أنها نزلت بمكة المشرفة كما تقتضى رواية السيدة عائشة الصديقة - رضى الله تعالى عنها - و هدى إلى هذا التفصيل المتعلق بالزكاة ، السالف الذكر ، بالمدينة المنورة ، كما فى « فيض البارى » .

و يصرحه كذلك سياق كلام السورة كلها ، حيث إن الله سبحانه و تعالى أمر فى الآية الأولى من هذه السورة (المزمل) باحياء الليالى ، و امتثله النبى - ﷺ - و صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - الذين حظوا حتى الآن بصحبته - و باتوا - على الأقل - ثلث الليل أونصفه أو ثلثيه فى القيام بذكر الله سبحانه ، حتى تورمت أقدامهم ، وقد مضت سنة كاملة فى هذه المجاهدة الكريمة ، فنزل الجزء الثانى من هذه السورة ، و خفف الله فيه الأمر بقيام الليل ، و أمر أن يقرأوا ماتيسر من القرآن ، وبين علة التخفيف بأسلوب اتضحت به ملامح المستقبل كلها :

(١) سورة البقرة الآية ٢١٨ .

تعترض لكم الأمراض ، و تحتاجون إلى ضرب فى الأرض لحاجة وطنية و دينية و اقتصادية ، و تجاهدون فى سبيل الله . . و هذه الآية هى التى فى ختامها ذكر الصلاة و الزكاة و الاقراض فى سبيل الله .

و هذا التوجيه بما فيه ذكر القتال نزل تفصيله بعد عشرة أعوام أو أكثر ، كذلك الجزء الذى يحتوى على ذكر الزكاة نزلت تفاصيلها فيما بعد ، فمن التكلف أن نقول : لم تنزل هذه الآية فى الوقت نفسه ، بل نزلت بعد ١٤ عاماً أو ١٥ عاماً .

٦ــ وقصة هذا العهد يحكيها سيدنا أبوذر الغفارى ـ رضى الله عنه و أرضاه ـ يقول : « جئت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ و هو جالس فى ظل الكعبة ، فرآنى مقبلا ، فقال : هم الأخسرون و رب الكعبة يوم القيامة ، فقلت : مالى لعله فى نزل شئ ، قلت : من هم ؟ ـ فداك أبى و أمى ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : هم الأكثرون ، إلا من قال هكذا و هكذا ، فحثى بين يديه ، و عن يمينه و عن شماله » (١) .

٧ــ يقول سيدنا أبو مسعود الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أمرنا بالصدقة ، إنطلق أحدنا إلى السوق، فيحامل،

(١) هذا الحديث سرده الترمذى فى جامعه فى طليعة باب « ما جاء عن رسول الله ـ ﷺ ـ فى منع الزكاة من التشديد ، و تمام الحديث : « ثم قال : و الذى نفسى بيده لا يموت رجل فيدع إبلا أو بقراً لم يؤد زكاتها إلا جاءته يوم القيامة أعظم ما كانت و أسمنه تطأه بأخفافها ، وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها ، حتى يقضى بين الناس .

فيصيب المد » (١) .

وإن كان هذا العمل بالمدينة المنورة ـ على منورها الصلاة والسلام ـ ولكنه يلقى ضوءاً كاشفاً على الحياة الجماعية فى مكة المشرفة كذلك ، وعلى موقف التعاون . فلهذا يمتدح القرآن السابقين الأولين ، و قد أخبرنا النبى ـ ﷺ ـ أن اللاحقين لو أنفقوا على أحد لما يساوى مد هؤلاء السابقين .

العبادة لها اتجاهان : الأول مبدأه التوحيد ، والثانى مصدره الشرك .

و الاسلام يتحيز إلى التوحيد ، و يدعو إليه ، و العبادات التى يعلمها الاسلام ، يؤسسها على التوحيد ، و كذلك النظام المالى له اتجاهان الأول إلى التوحيد وحده ، و إلى السجود و السخاء ، والانفاق والعطاء و الثانى إلى الأخذ و القبول ، و إلى جمع الثراء و جلب الرخاء ، فالاسلام كما هو يدعو إلى التوحيد و مناصرته ، كذلك هو يؤيد النظام الذى أساسه على الانفاق و الاعطاء ، و الافادة و الاستغناء و يعارض النظام المالى الثانى ، ويستأصله كما هو يعارض الاشراك والكفر ، والالحاد و اللادينية ، و يستخدم ضدها جميع الأسباب الممكنة .

و فى فجر النبوة حينما لم تنزل الأحكام بالتفصيل بل بالاجمال . أشير فى سورة الروم إلى هذين المبدئين بشكل يتضح به موقف الاسلام ، و إليك نصها :

« فآت ذا القربى حقه ، و المسكين ، و ابن السبيل ، ذلك خير

(١) صحيح البخارى ص: ٣٠٣ . وآخر الحديث: « وإن لبعضهم اليوم لمأة ألف »

للذين يريدون وجه الله و أولئك هم المفلحون ، و ما آتيتم من ربآ ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضعفون » (١) .

و حينما نزلت فى المدينة المنورة التفاصيل أوضح الله معارضة هذين الاتجاهين ، و أشار إلى أثرهما ، فالاتجاه الأول :

« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سرآ وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ، و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون » (٢) .

« إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، وأقاموا الصلاة و آتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون » (٣) .

و طريق المضاعفة التى تحدث الله عنها فى سورة الروم يشرحها فى سورة البقرة فيقول :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مأة حبة ، و الله يضاعف لمن يشاء ، و الله واسع عليم » (٤) .

و الاتجاه الثانى :

« الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » (٥) .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ، إن كنتم

(١) سورة الروم الآية ٣٨ و ٣٩ . (٢) سورة البقرة الآية ٢٧٣ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٦ . (٤) سورة البقرة الآية ٢٦ .
(٥) سورة البقرة الآية ٢٧٤ .

مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله ، و إن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ، و لا تظلمون ، و إن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » (١) .

دار الاسلام : دارالاسلام هى البلاد التى تطبق القوانين الاسلامية على أهاليها .. و البلاد التى هذا شأنها لا تتحيز للربا ولا تحكم به أبداً ، فاذا أخذ أحد من أهاليها ربا يرفع المأخوذ منه الربا دعواه إلى المحكمة الشرعية ، فلا يسعها إلا أن تسترد مبلغ الربا إلى صاحبه إجبارياً .

ويرى الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان - رحمه الله رحمة واسعة - فى رجل من دار الاسلام ذهب إلى مملكة غير إسلامية ، وأخذ الربا من أهاليها الكفرة ، وأقبل ذلك الرجل - المأخوذ منه الربا - إلى دارالاسلام ، و ادعى على ذلك المسلم بمبلغه الربوى ، أن المحكمة الاسلامية لاتقضى برد هذا الربا — و إن كان ذلك غيرمرضى عند الاسلام نظراً إلى الأخلاق الكريمة السامية التى يعلمها أفراده — فان هذه قضية مملكة غير إسلامية خارجة من مدى سلطتها ، و لا تطبق القوانين الاسلامية على أهاليها .

و ما من شك أن العالم كله اليوم مكبل بالنظام الربوى ، و يتباهى بنظام البنوك و لكن ... أليست جميع دول العالم - و لا سيما الدول الكبرى - مصابة بمرض حب الذات و إيثار المصالح الشخصية ، والقسوة لغيرها ، و الحرص و الطموح ، أو ليس الخوف ، و الدهشة و عدم الاطمئنان ، و عدم الثقة بالذات سائداً على العالم كله .

« البقية على ص ٩٤ »

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

النزعة الجديدة فى الشعر العربى

في رياض الشعر والأدب

الأستاذ محمد الرابع الندوى

رئيس قسم الأدب العربى بدار العلوم ندوة العلماء (الهند)

بدأت النزعة الجديدة تظهر فى الشعر العربى الحديث بتأثير التيارات الأدبية الوافدة من الخارج و بحكم الحياة الغربية الدخيلة فى العالم العربى الحديث و مال إليها شعراء الجيل الجديد بوجه خاص مبتعدين عن المناهج القديمة بعض الابتعاد .

و يظهر ذلك من كلمة أحد هؤلاء الأدباء و نقادهم و هو يشرح الفرق بين الفكرة القديمة و الفكرة الحديثة للأدب فى أحد بحوثه النقدية ، يقول :

« كل ما بيننا و بين هؤلاء (يعنى القدماء و مقلديهم) من فروق فى تقدير الشعر أننا لا نقنع من الشاعر بالتصوير السطحى والاحساس العادى بينما هم يقنعون وأننا لانتقيد بالحدود التى سنها القدماء و غير القدماء فى تقديرهم و نقدهم بينما هم لا يزالون مقيدين » .

و اشتهر من الشعراء الذين ظهرت فى شعرهم النزعة الفنية الجديدة الأساتذه ، على محمود طه : و أحمد زكى أبو شادى ، و بشارة الخورى ، وعباس محمود العقاد ، وعمر أبوريشة وخليل مردم بك ، وذلك لاتصالهم الأدبى بالغرب أولاقامتهم فى بيئته ، ولهم دواوين عديدة تضمن شعرهم ، وأكثر شعرهم غنائى و وجدانى .

و هذا نموذج من شعر الأستاذ عمر أبو ريشة يعبر فيها عن حالة الأمة العربية الحاضرة .

أمتى هل لك بين الأمم ... منبر للسيف أو للقلم

أتلقاك و طرفى مطرق ... خجلا من أمسك المنصرم

أين دنياك التى أوحت إلى ... و ترى كل يتيم النغم

حلم مر بأطياف السنا ... وانطوى خلف جفون الظلم

أى جرح فى إبائى راعف ... فانه الأسى فلم يلتئم

أ لأسرائيل تعلو رأية ... فى حمى المهد و ظل الحرم

كيف أغضيت على الذل ولم ... تنفضى عنك غبار التهم

أمتى كم صنم مجدته ... لم يكن يحمل طهر الصنم

لا يلام الذئب فى عدوانه ... إن يك الراعى عدو الغنم

فاحبسى الشكوى فلولاك لما ... كان فى الحكم عبيد الدرهم

و هذا نموذج من شعر الأستاذ عباس محمود العقاد و يظهر فيه مذهب طريف فى الحب :

لست أهواك للجمال و إن كا ... ن جميلا ذاك المحيا العفيف

لست أهواك للذكاء و إن كا ... ن ظريفا يصبو إليه الظريف

لست أهواك للخصال وإن رف ... علينا منهن ظل و ريف

أنا أهواك (أنت) فلا شئ ... سوى (أنت) بالفواد يطيف

إن حبا يا قلب ليس بمنسيك ... جمال الجميل حب ضعيف ،

واشتهر من تلاميذ الأستاذ العقاد فى نزعته الأدبية والشعرية رجال يخص بالذكر منهم الأستاذ سيد قطب فان له ديوان شعر وكتابات أدبية

تنحو نحوه الخاص و تدل على بنوغه الأدبى .

اشتداد النزعة الجديدة و خصائصها : و اشتدت هذه النزعة الجديدة وكثرت نماذجها فى شعر الجيل الجـديد وكان من أهم صفاتها هى الرمزية و الألوان فى التصوير و الطرافة و التحليل فى الوصف ، أما من جهة الشكل فقد دخلت بعض العناصر الجديدة فى شعرهم ، و كان موقفهم فى ذاك شبيها بموقف شعراء الأندلس ، وقد يخلو شعرهم إلى حد مامن متانة القول و رزانة القديم ، وتشيع فيه الركاكة بعض الأحيان لكونهم ضعيفى الارتباط بمعين أدبهم العربى القديم و ضعفهم فى الثقافة العربية أحيانا ، و استأثرت المرأة القسط الأكبر من آثارهم ، خاصة فى الغزل ، وقد تبلغ الاباحية عند بعضهم إلى حد الاستهتار الشديد ، كما نجد فى شعر نزار قبانى، و محمد على الحومانى ؛ وغيرهما ، و لهـذا النوع من الشعر نماذج كثيرة توجد فى دواوين الشعر الجديد .

شعر المهجر : أما شعراء المهجر فقد امتـازوا بصورة خاصة بمنهج الشعر الجديد بل إن أكثر خصائص الأدب الجديد و أشدها إنما ظهرت فى شعرهم بحكم إقامتهم فى البيئة الغربية المتطرفة ، وتأثرهم الشديد بالتيارات الفكرية و الفنية السائدة فى الغرب ، و أبرز النـابهين منهم هم « ايليا أبو ماضى » و « ميخائيل نعيمة » و « الياس فرحات » و « الشاعرالقروى » و غيرهم كما اشتهر الياس أبو شبكة من أبناء لبنان فى هذا اللون من الشعر و له دواوين نالت من الناس تقديراً و إعجاباً .

بين وسامين

الأستاذ محمد المجذوب

بعض (النياشين) (١) شين لاجمال له ... وإنما هو رمز العار والهون
فكيف حين تؤديه يد فتكت ... ولا تزال بأكداس المساكين !
يا حاملا سمة الأعداء .. لو نظرت ... عيناك ما فعلوا فى إخوة الدين
وماجنوه على الاسلام فى (هرر) ... و (لاغس) و (تشاد) و (الفلبين)
و قبل ذاك بعهد العلم (أندلس) ... و ما نقاسيه منهم فى (فلسطين)
إذ أعلنوا أنهم لن يبرحوا أبداً ... بكل أحقادهم درعاً لصهيون
لو كنت تدرك ذا أوبعضه لنبـا ... بك النهى عن ألاعيب الملاعين
و لو تقصيت ما خلف الوسام من ... المكر الذى دونه كيد الشياطين
إذن قذفت به فى وجه صاحبه ... وصنت شعبك من تلك الأسافين
و لم تدع لذرارى (شاول) سرباً ... إلى الثرى الطهر من إرث الميامين
أيخرج المصطفى الهادى شراذمهم ... من الجزيرة فى خزى الأذلين
و تفسحون لهم درب المعاد إلى ... صميمها اليوم فى عز و تمكين !
و لو فطنتم إلى ما يبتغون لما ... فتحتم الباب فى وجه الثعابين
ولا رضيتم وساماً غير نصرة من ... بفضله عمتمو فوق المكابين
لكن إذا شاء رب الناس فتنتهم ... عموا عن الحق فارتدوا إلى الطين
وذو الجنون يخال العقل قسمته ... و يحسب الخلق طراً فى المجانين

و ما لباغ على الاسلام من وزر ... وليس يعرض عنه غير مأفون
والنفط بعض جنود الله ، فهو متى ... يشأ يغض أو يفض شأن البراكين
و حكمة الله قانون الوجود ، و فى ... يديه سبحانه خرق القوانين
يلو النفوس بنعماه فيكشفها ... حتى يرى كل سر غير مكنون
و جاهل من يرى السراء دائمة ... فما البقاء على شتى بمضمون
وليس يأمن مكر الله ذو رشد ... و أمره عز بين الكاف و النون

(١) النيشان : الوسام و ربما كانت من بقايا التركية .

« بقية المنشور على ص ٨٩ »

خب المصالح الذاتية ، و إيثارها ، و قساوة القلب ، يسوغان الربا ، ثم تتضاعف هذه الخصائل الرذيلة الغاشمة حينما تتغلغل هذه الخصائل فى ظبائع الأمة فتحدث تلك الأزمة التى سادت اليوم على العالم كله فتخترع الآلات المدمرة المبيدة - على أكثر ما يمكن - التى تجعل الدول الكبرى خائفة حذرة و ادهى منه و أمر أن الدول التى هى فى مدى الرقى والتقدم هى أيضاً تشعر كأنها على فوهة بركان .

ربانيون

القاضى أبو سعد التميمى الموصلى

المعروف بابن أبى عصرون

سعيد الأعظمى الندوى

ابن أبى عصرون يعتبر فى طليعة فقهاء الأمة وأعيان العلم والفضل فى القرن السادس الهجرى ، احتل منصباً عالياً فى التدريس و الفتيا ، ونصبه الملك الشهيد نور الدين الزنجى قاضياً فى مملكته ، وبنى له مدارس علم و دين فى أنحاء دولته بحلب و حماة و حمص و بعلبك ، أمه الناس من طلاب العلم و الفقه و علماء الدين و الارشاد فاستفادوا من مادته الغزيرة ما توسعوا به علماً وفقهاً و استقوا من ينبوعه الثر ، حتى ارتووا ورعاً و ديناً ، و قد صحبه التوفيق الالهى فاستطاع أن يؤلف كتباً قيمة كثيرة فى مختلف مناحى الدين و الشريعة و مواضيع الفقه و الفرائض و الحديث ، تخرج على يديه جماعة كبيرة من علماء الاسلام ومنهم شيخ الاسلام ابن عساكر الدمشقى .

إنه الشيخ شرف الدين عبد الله بن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عصرون ، ولد بموصل فى شهر ربيع الأول سنة ٤٩٣هـ ، وبعد ما تلقى العلوم الابتدائية على والده و تدرج إلى دراسة الفقه و الحديث حضر أولا إلى القاضى المرتضى بن الشهرزورى و أبى عبد الله الحسين بن خميس الموصلى وتفقه عليهما و ذهب إلى المسلم السروجى فتلقن عليه

و سافر إلى بغداد حيث قرأ القرآن بالسبع على أبى عبد الله الحسين بن محمد البارع و بالعشر على أبى بكر المرزوقى . و غيره من العلماء و توجه إلى واسط فتفقه بها على القاضى أبى على الفارقى و لازمه حتى عرف به و علق عن أسعد الميهنى فى بغداد ، و أخذ الأصول فيها عن أبى الفتح بن برهان .

سمع الحديث وهو ابن ١٥ عاماً من جماعة من المحدثين ، منهم أبو الحسن بن طوق ، و روى عنه كبار العلماء كأبى القاسم بن صصرى ، وأبو نصر بن الشيرازى ، و أبو محمد بن قدامة ، وعبد الله بن النحاس ، و رجع من بغداد إلى الموصل سنه ٥٢٣هـ فدرس بها وأفاد خلقاً كثيراً و أقام بسنجار مدة يدرس و يفتى ، حتى سافر إلى حلب سنة ٥٤٥هـ و قام بتدريس الفقه و الأصول و الفتيا و طار صيته ، واشتهر أمره ، فأقبل عليه ملكها نور الدين الشهيد و أحبه و جعله من خاصته .

ولما انتقل الملك الشهيد إلى دمشق سنة ٥٤٩هـ استصحبه معه وولاه نظر الأوقاف فيها ، و التدريس بالمدرسة الغزالية ، ثم عاد إلى حلب فتولى قضاء سنجار و حران و ديار ربيعة ، و تفقه عليه فى هذه الديار خلق كثير ، و فى سنة سبعين و خمس مأة رجع إلى دمشق و تولى رئاسة القضاء فيها سنة ٥٧٣هـ ، و استقر بها و اتخذها الآن موطناً ، و عظمت منزلته هناك ، و ارتفعت مكانته ، و نفذت كلمته ، فكان قاضى القضاة بدمشق و عالمها و رئيسها

كان ابن أبى عصرون آية بين علماء عصره فى التدريس و الافتاء و القضاء ، أحرز مكانة عالية فى الفقه وأسس مدرستين فى دمشق وحلب

لتدريس الفقه و أصوله وعلم الفرائض و الحديث ، عدا ما بنى له الملك الشهيد نور الدين من مدارس عديدة فى أنحاء مملكته ، و وفق إلى تخريج جيل من علماء الاسلام و فقهائه ، و إخراج مؤلفات كثيرة ذات قيمة علمية كبيرة . وكل ذلك بفضل ورعه وإخلاصه لله تعالى ، ورغبته الخالصة فى خدمة دينه وعلمه ، يتحدث عنه شيخ الاسلام ابن السبكى فيرفع مكانه و يعظم شأنه ، يقول :

« كان من أعيان الأمة و أعلامها ، عارفاً بالمذهب (الشافعى) و الأصول و الخلاف ، مشاراً إليه فى تحقيقات الفقه ، ديناً ، خيراً ، متواضعاً ، سعيد الطلعة ، ميمون النقيبة ، ملأ البلاد تصانيف وتلامذة ، و عنه أخذ الفقه شيخ الاسلام فخرالدين بن عساكر و غيره ، و بنى له الملك نور الدين المدارس بحلب و حماة وحمص وبعلبك و بنى هو لنفسه مدرستين بدمشق و حلب » .

ظل ابن عصرون متبوءاً منصب القضاء حتى آخر عمره ، محافظاً على دينه وورعه ، و غزارة علمه ، و كثرة رئاسته وسوددة ، معروفاً بنظره الواسع فى الأحكام الشرعية و تفقهه فى أصول الدين و فروعه ، وقد وقف حياته كلها فى نشر العلم و تربية الجيل و تزكية النفوس ، و تحبيب العلوم الدينية إلى الناس ، وتعويدهم على الخصال المرضية والأخلاق الحميدة عند الله ، و بناء أسس الحياة فى ضوء الكتاب و السنة ، و على منهج النبوة الأصيل .

و لابن أبى عصرون مؤلفات نافعة فى الفقه والأصول و الخلاف و الفرائض ، و قد كان ينتصر لمذهب الامام الشافعى فى الفقه و يقلده

فى ذلك ، فألف فى تأييد مذهبه كتاباً كبيراً فى سبعة مجلدات أسماه «صفوة المذهب على نهاية المطلب » و له « كتاب الانتصار » فى أربعة مجلدات ، و «كتاب المرشد» فى مجلدين ، و«الذريعة فى معرفة الشريعة» و « كتاب التيسير » و «كتاب مأخذ النظر» و « مختصر فى الفرائض » و « فوائد المهذب» و «التنبيه فى معرفة الأحكام» و «كتاب الموافق والمخالف» .

كما أن له فوائد كثيرة فى الأحكام الشرعية و مسائل ذكرهـا فى فتاواه تحتوى على فروع دقيقة و جزئيات كثيرة من المشكلات الفقهية التى يحتاج إليها الناس فى حياتهم اليومية .

يقال : إنه عمى فى آخر عمره و لكنه لم يفارق القضاء على ذلك و استمر عليه و ألف كتاباً فى جواز قضاء الأعمى ، و كان ينشد فى آخر أيام حياته :

أؤمل أن أحيـا و فى كل ساعة تمس بى الموتى تهز نعوشهـا
و ما أنا إلا منهم غير أن لى بقـايا ليـال فى الزمان أعيشها

و من شعره أيضاً :

كل جمع إلى الشتات يصير أى صفو ما شأنه تكدير
أنت فى اللهو و الأمانى مقيم و المنايا فى كل وقت تسير
و الذى غره بلوغ الأمانى سراب و خلب مغرور
و يك يا نفس أخلصى إن ربى بالذى أخفت الصدور بصير

★★★

أخبار ثقافية و اجتماعية :

مسجد بروكسل و المركز الاسلامى

أهدت الحكومة البلجيكية المبنى الشرقى بالحديقة الخمسينية ببروكسل إلى المسلمين ببلجيكا بطلب منهم ، ليكون مسجداً جامعاً ، و مقراً للمركز الاسلامى و الثقافى ببروكسل .

و قد وقع الاحتفال بتسليم المفتاح رمزياً إلى جلالة الملك فيصل بمناسبة زيارته الكريمة إلى بلجيكا فى مايو ١٩٦٧ م

و لما تأسست منظمة المركز الاسلامى و الثقافى ببلجيكا بصفة رسمية و صادقت الحكومة البلجيكية على نظامها الأساسى (يونيو ١٩٦٨م) ، أجرى مكتبها مفاوضات مع السلط المختصة بالحكومة البلجيكية فى شأن الصو ة التى سيحال عليها هذا المبنى إلى المركز ، وانتهت هذه المفاوضات بامضاء عقد الطرفين يقتضى تنازل الحكومـة البلجيكية عن المبنى لفائدة المسلمين ، على أن يقوم المركز بتحويله إلى مسجد جامع للمسلمين ، ومقراً للمركز الثقافى فى ظرف عشر سنوات (مضت منها الآن أربع سنوات) .

والآن ، وبعد انتصاب المسلمين بحمد الله بصفة انتقالية ، ببهو هذا المبنى العظيم ، الكائن بأجمل الحدائق بروكسل ، وفى قلب العاصمةالأوربية و بعد أن أعد خيرة المهندسين المسلمين تصميما رائعاً لتحويل كامل المبنى إلى مسجد جامع يسع لأكثر من ألف مصل، والمعهد الاسلامى، ومكتبة كبرى ، ومدرسة قرآنية ، وقاعة اجتماعات ، ومقر إدارة المركز، وسكن المدير و ملحقاتها ، و بعد مضى أكثر من أربع سنوات على تسلمه من الدولة البلجيكية بعد كل هذا ، فان كل الأنظار ، أنظار المسلمين و غيرهم مصوبة إليه ، متسائلة عن موعد الشروع فى إقامة هـذا المعلم الاسلامى الكبير ، مرتقبة بفارغ الصبر تجمع المـال اللازم لانجازه ليكون منارة تنطلق منه كلمة الله باذنه إلى ربوع أوربا ، وتعمل على رفع لواء الاسلام

و المسلمين شامخاً فى هذه الأصقاع . صندوق بناء المسجد

Compte de la Mosqce de Bruxelles
S. G. de Banque.
Agence Solboche; 425 000
1050. Bruxelles (Belgique)

الجامعة الاسلامية بعليكره

★ أصدرت الحكومة الهندية القانون الجديد للجامعة الاسلامية بعليكره الذى ينص على أن هذه الجامعة ليست لأى طائفة من الطوائف الموجودة فى الهند ، و إنما هى مالك للحكومة ، و هى التى تديرها حسب مصالح البلاد و الدولة و على الخطوط العلمانية التى تقوم عليها الحكومة ، أما المسلمون فليس لهم حق التدخل فى الابقاء على تقاليدهم الدينية وخصائصهم الاسلامية فيها و لا ينبغى لهم أن يلحوا على ذلك وهم فى بلاد حكومتها علمانية خالصة .

و منذ صدور هذا القانون يشعر المسلمون بقلق بالغ و ألم يحز فى نفوسهم نحو هذه الجامعة الاسلامية التى أسسها المسلمون وحدهم ، و التى أقيمت لتعليم الشباب المسلم وتثقيفه بما يحتاج إليه من علوم ومواد تؤهله لتحمل مسؤليات تعود إليه من دينه و دنياه ، لكى يساير الحياة فى كل عصر مع المحافظة على خصائصه الحضارية و مميزاته الاسلامية .

و مما يؤسف له بالغ الأسف أن المسلمين يحرمون من ممارسة حقوقهم فى تعليم أبنائهم و نشئهم بحرية كاملة فى هذه الجامعة من أجل هذا القانون ، و لا يستطيعون وضع مخططات التعليم فيها بأنفسهم بل و تتملك الحكومة كل هذه الحقوق و هى التى تشرف على إدارتها و وضع خطط التعليم فيها ، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .